



فقه الأقليات المسلمة عند العلامة يوسف القرضاوي

ملاحح ومرتكزات

Al-Qardawi's *Fiqh* of Islamic minorities: Features and foundations.

د. ناصر الدين محمد الشاعر

naser.shaer@najah.edu

كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية

د. محمد راغب جيطان

كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية

m.jetan@najah.edu

تاريخ الاستلام: 2024/04/30 تاريخ القبول: 2024/05/20 تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص: يهدف هذا البحث إلى رصد اجتهادات القرضاوي المتعلقة بفقه الأقليات المسلمة، مقدمةً لتحديد ملاحح ذلك الاجتهاد والروح التجديدية فيه وبيان المرتكزات التي اعتمد عليها.

تنبع أهمية هذا البحث من تعلقه بالتجديد في معالجة قضايا الأقليات المسلمة الذين تجاوزت نسبتهم خمسَ تعداد المسلمين في العالم، والتي أسهم فيها القرضاوي أيما إسهام، خاصةً مع كثرة المستجدات والنوازل لديهم، والتي لم يعد التراث الفقهي قادراً على الإجابة عليها لاختلاف الظروف والمعطيات التي تتطلب اجتهاداً معاصراً يجب عليها عملاً بقاعدة اختلاف الفتوى باختلاف الزمان والعوائد، وذلك من خلال الاجتهاد الانتقائي الترحيحي والاجتهاد الإنشائي الإبداعي.

وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على التتبع والتحليل لكتابات القرضاوي وفتاويه في فقه الأقليات، إن عبر مؤلفاته المنشورة أو عبر لقاءاته المبثوثة، كبرنامج الشريعة والحياة.

ومما يميز هذه الدراسة تفحصها لمظاهر التجديد في اجتهادات القرضاوي، وسعيها لرسم الملاحح العامة لتلك الاجتهادات، واستقراء القواعد والأصول التي ارتكزت عليها، بدل الاكتفاء بسردها.

ويتناول هذا البحث بعد المقدمة، عرضاً لأهم الدراسات التي تناولت فقه الأقليات، ثم تتبعاً لكتابات القرضاوي التي تناولت الموضوع والمركزات التي بنى عليها اجتهاده فيها، وصولاً لتلمس مظاهر التجديد في تلك الاجتهادات ولرسم مجمل ملامحها ومركزاتها. وقد خلصت الدراسة إلى تحلي اجتهادات القرضاوي للأقليات المسلمة بعددٍ من الخصائص، وإلى اتباعه فيها منهجية تقوم على عددٍ من المركزات والأصول التي بيّنتها الدراسة. **كلمات مفتاحية:** الاجتهاد، التجديد، الأصول، فقه الأقليات، القرضاوي.

ABSTRACT:

This study reviews the ijtiḥad of Yusuf Al-Qardawi on Islamic minorities and the considerations it is based on. The aim is to show aspects of renewal within his ijtiḥad and the foundations it is based on.

The significance of this study lies in its topic which deals with renewal in one of the major areas of contemporary ijtiḥad to which Al-Qardawi has greatly contributed along with many other scholars of Islam .

Furthermore, conventional ijtiḥad is unable to answer all issues related to current events facing Islamic minorities, thus a contemporary jurisprudence is needed which is based on the fiqh rule that states that divergence of supervisory Islamic opinions is acceptable due to change in time, place and customs.

The study adopts a descriptive analytical approach in following the written works of Al-Qardawi to understand the basis and considerations he relied on in forming his ijtiḥad and to explain their features of renewal. The study presents some studies which deal with Islamic minorities in general as a starting point then introduces the works of Al-Qardawi in specific.

Keywords: contemporary ijtiḥad; renewal; Muslim minorities; Al-Qardawi, foundations.

1. المقدمة

1:1. التعريف بالموضوع

يستعرض هذا البحث جهود العلامة يوسف القرضاوي الاجتهادية المتعلقة بالأقليات المسلمة، وذلك بهدف رصد ملامح تلك الاجتهادات، والمرتكزات التي استندت إليها. تأتي اجتهادات القرضاوي هذه في إطار جهوده لتطوير الاجتهاد المعاصر بشكل عام والنهوض به استجابةً لمتطلبات العصر ونوازل، منطلقاً من صلاحية هذه الشريعة لكل زمان ومكان، ومعتمداً على عشرات القواعد والأصول التي تُنظم العملية الاجتهادية وتجعلها قادرةً على الإجابة على قضايا العصر وحوادثه المتجددة، من خلال الاجتهاد الانتقائي الترجيحي، والاجتهاد الإنشائي الإبداعي للمستجدات، مع الدعوة إلى ترشيد تلك الاجتهادات بعيداً عن التطرف وكل صنوف الخلط والضلال والتسيب.

ويقصد بالأقليات المسلمة: جماعات المسلمين التي تقيم خارج العالم الإسلامي، ويخضعون فيها لحكم الدول المخالفة لهم في الدين، كشأن سائر الأقليات التي تعيش مع الأغلبية في أي بلدٍ وتختلف عنها في الدين أو اللغة أو العرق¹.

وأما فقه الأقليات المسلمة فهو مصطلح حديثٌ يطلق على مجموعة الأحكام التي تتعلق بالأقليات المسلمة والتي قد تختلف في بعض جوانبها عما عليه العمل في بلاد المسلمين نظراً لاختلاف ظروفهم عن مجموع الأمة المسلمة، وذلك انطلاقاً من قاعدة اختلاف الفتوى باختلاف المكان والزمان والعوائد، مع التأكيد على وحدة

¹ توبولياك، سليمان، الأحكام السياسية للأقليات المسلمة"، دار النفائس، عمان 1998، وقد نسب تعريف الأقلية إلى: موسوعة السياسة لعبد الوهاب الكيالي 244/1، ومعجم العلوم السياسية الميسر ص28، والقاموس السياسي لأحمد عطية الله ص96

أصول الأحكام وجوهرها لهم ولغيرهم². وقد درجت المؤسسات الإسلامية على التعامل مع هذا المصطلح³.

1: 2. أهمية الموضوع وسبب اختياره

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية موضوعه المتعلق بالتحديد في الاجتهاد، وهو المتسق مع طبيعة هذه الشريعة وصلاحياتها للبشرية عبر الزمان والمكان، ومن قدرتها على التعاطي مع المستجدات والإجابة على النوازل التي لا تنقضي. وما عمل العلماء في كل عصر، سوى الكشف عن حكم الشريعة في كل نازلة، ودعوة الناس إلى الالتزام بذلك. فضلاً عن دورهم في تحديد هذا الدين، إن بتخليصه مما علق به مما ليس منه عبر العصور حتى يعود غضاً كما نزل أول مرة، أو باستنباط الأحكام من نصوصه الكريمة لقضايا الناس المتجددة. كل ذلك بعيداً عن الغلو والتطرف والضلال والتسيب والانحلال. وهو ما يزيد في أهمية البحث. ويؤكد أهمية هذا الموضوع أنه يناقش قضايا ملايين المسلمين المنتشرين عبر العالم بكل قاراته.

1: 3. مشكلة البحث وفرضيته

² يُنظر: حلاوة، حسين، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، ملتقى الإمام القرضاوي، الدوحة، 2007، عن جوجل ت مشاهدة 2023/ 2/20. والسلمي، عياض، فقه الأقليات المسلمة، مجلة البحوث الإسلامية، ع121، ص 22، 2020، دار المنظومة، 1078378. وابن بيه، في صناعة الفتوى، ص 224. والمعماري، احمد مرعي، تحرير مصطلح فقه الأقليات، مجلة المدونة، مج4، ع15، ص 7، 2018، دار المنظومة، 1006174. وحمداوي، جميل، فقه الأقليات، مجلة البحوث الإسلامية، ع2، 2015، ص 153، دار المنظومة، 202910

³ الحق، حُسن، التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، بوروكيرتو، 2016

القضية الجوهرية التي عاجلها هذا البحث وسعى للإجابة عليها، إنما تتمثل في البحث عن التجديد وسائر الملامح في اجتهادات القرضاوي لقضايا الأقليات المسلمة والأصول التي ارتكز عليها. ويمكن صياغتها على النحو الآتي: هل اتصفت اجتهادات القرضاوي لقضايا الأقليات المسلمة بالتجديد؟ وما هي أهم ملامح اجتهاداته فيها؟ وما هي المرتكزات التي بنى عليها تلك الاجتهادات؟

1: 4. منهج البحث

وقد اتبع البحث المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل لكتابات القرضاوي وفتاويه في فقه الأقليات، لاستخلاص خصائص اجتهاداته والأصول التي ارتكز عليها، وتلمس مظاهر التجديد فيها. وهو بحثٌ مكتبيٌّ اعتمد على تتبع مؤلفات الشيخ ولقاءاته التلفزيونية ذات الصلة وتحليلها.

1: 5. تقسيم البحث

اشتمل هذا البحث على مقدمةٍ، وعرضٍ لأهم الدراسات التي تناولت موضوع فقه الأقليات لتكون مدخلاً للإحاطة بالموضوع قبل الخوض في آراء القرضاوي، ثم استعراض كتابات القرضاوي التي تناولت الموضوع وبينت مدى الحاجة إلى فقه جديد فيها، كما استعرضت المرتكزات التي بنى عليها القرضاوي اجتهاده، وصولاً لتلمس ملامح تلك الاجتهادات ومظاهر التجديد فيها، مما بينته خاتمة هذه الدراسة.

2. جولة في الدراسات السابقة حول فقه الأقليات المسلمة

بالإضافة إلى ما كتبه الشيخ القرضاوي في موضوع الأقليات المسلمة⁴، فقد استفاد البحث من عددٍ من الكتابات التي تناولت بالتحليل فكر القرضاوي واجتهاداته لفقه الأقليات⁵، كما اطلع على عدد من الدراسات التي تناولت فقه الأقليات المسلمة لعلماء وباحثين آخرين، وهذا تبين ذلك:

- دراسة حسين حلاوة بعنوان: "فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي"⁶. وهو من أهم البحوث التي تناولت جهود القرضاوي في فقه الأقليات. بدأ بالتعريف بفقه الأقليات وبالشيخ القرضاوي منطلقاً لتبيان علاقة القرضاوي بالأقليات المسلمة في الغرب والتي امتدت لأكثر من نصف قرن. وقد بين أن آراء القرضاوي تمتاز بالتأكيد على أهمية الوجود الإسلامي خارج بلاده وضرورة ترسيخه والعناية به ووضع الحلول لمستجداته، خلافاً للآراء الأخرى التي بلغت حدّ تحريم التجنس بجنسية الدول غير المسلمة. ثم تناول منهج القرضاوي في فقه الأقليات، وأهدافه الخاصة، وخصائصه، وأصوله وقواعده. ثم عرض نماذج من فتاوى القرضاوي في فقه الأقليات في شتى المجالات والأبواب، مع مبررات تلك الفتاوى ومستنداتها.

⁴ مثل: في فقه الأقليات المسلمة، دار الشروق، القاهرة 2001. وفتاوى معاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت 2000، 2000، 2003، ودار القلم دمشق 2009 على توالي الأجزاء الأربعة

⁵ مثل: حلاوة، حسين، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، ملتقى الإمام القرضاوي، الدوحة، 2007. الحق، حُسن، التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي. الجامعة الإسلامية، بروكيتو، 2016

⁶ حلاوة، حسين، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، ملتقى الإمام القرضاوي، الدوحة، 2007

- دراسة حُسن الحق، بعنوان: "التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي"،
لحُسن الحق⁷. ركزت الدراسة على سمة التيسير في فقه القرضاوي وتأصيلها
الشرعي وتطبيقاتها العملية ومبرراتها لفقه الأقليات، مع التمثيل على ذلك. كما نوّه
بأهداف فقه الأقليات عند القرضاوي، وركائزه وأصوله وقواعده. كما ذكر
مظاهر التيسير عنده.

- دراسة عبد الله بن بيه، بعنوان: "صناعة الفتوى وفقه الأقليات"، النائب السابق
لرئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورئيس مجلس الإفتاء الإماراتي⁸. ذهب فيها
إلى أن أوضاع المسلمين في هذه الأقليات يمكن وصفها بأوضاع الضرورة والحاجة،
وأنها تحتاج إلى فقهٍ خاصٍ ليس غريباً عن الفقه العام وأصوله ومرجعياته، إنما له
خصوصيته نظراً لظروفهم الخاصة. وأن هذا الفقه المطلوب يرجع للكتاب والسنة
وإلى كليات الشريعة وقواعدها العامة التي عدّها وفصّل فيها. كما استعرض جانباً
من الأمثلة التطبيقية على فقه الأقليات، من ذلك جواز الإقامة والتجنس في الغرب،
خلافًا لفتاوى سابقة تبعت ظاهر حديث "أنا بريء من كل مسلمٍ يقيم بين أظهر
المشركين"⁹ دون تعليله وتأويله ومعرفة مناسبتة. وجواز شراء بيتٍ للسكن بفائدة
للحاجة وعملاً بفتوى سابقةٍ لأبي حنيفة عند اختلاف الدار. وجواز تهنة غير
المسلمين بأعيادهم بضوابط. وبقاء المرأة التي تعتنق الإسلام دون زوجها على

⁷ الحق، حُسن، التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، الجامعة الإسلامية، بورو كيرتو،
2016

⁸ ابن بيه، عبد الله، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، دار المناهج بالسعودية 2007، المنظومة
مشاهدة 2023 / 2 / 20

⁹ الترمذي، سنن الترمذي، أبواب السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين،
(1604) (155/4). قال الترمذي: قال البخاري: الصواب أنه مرسل.

العلاقة الزوجية معه طمعاً بإسلامه وعملاً برأي بعض الصحابة. وجواز تورث الذي اعتنق الإسلام من ميراث أهله الذين بقوا على دينهم للمصلحة واتباعاً لقول بعض الصحابة والسلف. وجواز المشاركة في الانتخابات وإدارة البلد من باب المصالح وفقه الموازنات والنظر في المآلات.

- دراسة جمال الدين عطية، بعنوان: "نحو فقه جديد للأقليات"، لجمال الدين عطية.¹⁰ بدأ باستعراض الإعلانات الدولية المتعلقة بحقوق الأقليات كإحدى المرجعيات لحقوق الأقليات في ضوء توقيع الدول الإسلامية عليها وعضويتها في الأمم المتحدة. كما تحدّث عن التراث الفقهي باعتباره يتضمن اجتهادات بشرية لظروف تغير بعضها مع مرور الزمان واختلاف المكان وكثرة المستجدات. وبالتالي، فنحن بحاجة لاجتهاد جديد يراعي ظروف ومستجدات الواقع المعاصر. واستعرض المرجعية الشرعية لفقه الأقليات ولعلاقة المسلمين مع غيرهم. والإقرار بسنة التنوع بين الناس، وأن هدف هذا التنوع بنص القرآن هو التعارف والتعاون على الخير، ومراعاة المواطنة. فضلاً عن وجوب البر والقسط مع الذين لم يحاربونا في الدين ول يخرجونا من ديارنا.

- دراسة طه جابر العلواني، بعنوان: "مدخل إلى فقه الأقليات"¹¹. حيث يرى فيه أن النظر لموضوع الأقليات من منطلق تقديس التراث وقسمة العالم إلى دار الحرب ودار الإسلام يوقع باللبلة والفوضى والعجز. وأنها بحاجة لاجتهاد جديد ينطلق من كليات القرآن وغاياته وقيمه العليا ونظراته العالمية ومقاصده التشريعية، وأن تكون

¹⁰ عطية، جمال الدين، نحو فقه جديد للأقليات، دار السلام، القاهرة 2003

¹¹ العلواني، طه جابر، مدخل إلى فقه الأقليات، مجلة إسلامية المعرفة، مج 5 ع 19، ص9،

1999، دار المنظومة 103302، مشاهدة 2023 / 3 / 20.

الحاكمية العليا للقرآن الكريم لفهم المصادر الأخرى في إطاره وليس العكس. لذلك تبرز الحاجة إلى أصول لفقه الأقليات، كما لكل علم أصوله.

- دراسة عبد المجيد النجار، بعنوان: "نحو تأصيل فقهي للأقليات المسلمة في الغرب"¹². ذكر فيه أهمية التأصيل لفقه خاص بالأقليات، ييسط القيم الخالدة والتعايش الحضاري. وقال بأن فقه الأقليات له خصوصية النوازل والمستجدات، التي تستدعي تعقيد أسس الاجتهاد لقضاياهم. وأن تهدف إلى تبليغ ونشر الدعوة وليس مجرد الإجابة على قضايا فقهية فردية، وأن تحتل المقاصد الموقع اللائق بها. والأقليات يمكنها تشكيل حلقة وصل بين العالم الإسلامي والغرب. وأن تسعى لتطبيق قيمة التعارف الواردة في القرآن، ولبناء المشترك الإنساني، والتأصيل لفقه حضاري. والاستناد إلى أصول الفقه والقواعد الفقهية والمقاصد الشرعية.

- دراسة خالد محمد عبد القادر، بعنوان: "من فقه الأقليات المسلمة"¹³. وقد طالب بمراجعة تقسيم العالم إلى دار حرب ودار إسلام ودلالاتها، وضرورة مراجعة بعض الاجتهادات الجاهزة لمعرفة مدى صلاحيتها لظروف الأقليات المعاصرة التي تبدلت فيها الأعراف والظروف. فالإسلام رسالة عالمية حدودها أرض الله الواسعة. وأورد قول الماوردي بأفضلية الإقامة بدار الكفر للقادر على نشر الإسلام.

¹² النجار، عبد المجيد، نحو تأصيل فقهي للأقليات المسلمة، Noor-book .com ت

مشاهدة 2023/3/20

¹³ عبد القادر، خالد محمد، من فقه الأقليات المسلمة، Noor-book .com ت مشاهدة

2023/3/20

دراسة صلاح الدين سلطان، بعنوان: "الضوابط المنهجية لفقه الأقليات"، لصلاح الدين سلطان¹⁴. حيث دعا إلى تعميق الشعور بالمواطنة لدى الأقليات في البلدان التي يقيمون بها، ووجوب المشاركة الإيجابية كمواطنين لا كغرباء، وحمل رسالة الإسلام، وإصلاح العالم في ضوء تعاليمه الإنسانية العالمية. ونوّه بضرورة الجمع بين فقه النص وفهم الواقع. وذكر الحاجة للاجتهاد الجماعي للقضايا العامة. ودعا إلى تفعيل فقه المقاصد وضرورة فهم التراث في إطارها، ومراعاة الأولويات والموازنات والمآلات. ودعا لفتح قنوات حوارٍ مع غير المسلمين، والاهتمام بقضايا المسلمين في العالم كقضية فلسطين، والتقريب بين المذاهب واعتماد الاجتهاد الانتقائي والتوسط بين التقليد وعدم التمازج، وتبني فقه التيسير ومراعاة سنة التدرج ورفع الحرج ومنع الضرر والأخذ بالرخص والتخفيفات، وإيجاد البدائل المشروعة للأمور المحظورة.

دراسة بندر عريج، بعنوان: "قواعد المصلحة وتعلقها بنوازل فقه الأقليات الإسلامية"، لبندر عريج¹⁵. وقد جاء في مبحثين، الأول للقواعد المتعلقة بالمصلحة ورفع المشقة، والثاني لضوابط استعمال المصلحة في فقه الأقليات. وهذه القواعد هي: درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وسد الذريعة، والرخص، وشيوع البلوى كمخففٍ، والضرورات تبيح المحظورات، والحاجة تنزل منزلة الضرورة.

¹⁴ سلطان، صلاح الدين، الضوابط المنهجية لفقه الأقليات، Noor-book .com ت

مشاهدة 2023/3/20

¹⁵ عريج، بندر ذعار، قواعد المصلحة وتعلقها بنوازل فقه الأقليات الإسلامية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، ع35، ج3، ص1735، 2018، دار المنظومة، 958998

وضوابط استعمال المصلحة هي: عمومها وقطعيتها ومعقوليتها، وعدم مخالفتها لنصٍ قطعيٍّ، وعدم الإفراط في تتبع المصلحة، وابتناء الأحكام على مقاصد الشريعة. دراسة محمد الكدي العمراني، بعنوان: "فقه الأقليات"، لمحمد الكدي العمراني¹⁶. بدأ بالتعريف بمفهوم الأقليات ومصطلحاتها. وأورد عدداً من الأصول والركائز الواجب اعتمادها في فقه الأقليات، وهي: مرجعية القرآن والسنة وكمليات الشريعة ومقاصدها، وقواعد الضرورة ورفع الحرج، والمشقة تجلب التيسير، والحاجة تنزل منزلة الضرورة، وتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، والنظر في المآلات، واعتبار المقاصد. وأشار إلى وجوب حفظ الحياة الدينية للأقليات ومراعاة خصوصياتهم والتطلع إلى تبليغ الإسلام من خلالهم، ودعا للتأصيل لفقهٍ جماعي، وفقهٍ عالمي.

- دراسة جميل حمداوي، بعنوان: "فقه الأقليات"، لجميل حمداوي¹⁷. تناول فيه الأصول والمبادئ لفقه الأقليات، ومنها: أنه اجتهادي معاصر، ومقاصدي، وقواعدي. وأن قضاياها اجتماعية اقتصادية سياسية دينية شعائرية تربوية تعليمية ومسألة هوية. وذهب إلى تأصيله وفق أسسٍ منها: القرآن والسنة، وفقه الواقع والموازنات والضروريات والحاجيات، والفقه المقارن الترجيحي والاستدلالي. وأنه يتجاوز الموروث مع الانتفاع به. وأنه يتبع سنة التدرج، والتحرر المذهبي، والتيسير، والنظرة المقاصدية.

¹⁶ العمراني، محمد، فقه الأقليات، مجلة المجلس العلمي، س4، ع10، ص162، 2011،

المنظومة 400250

¹⁷ حمداوي، جميل، فقه الأقليات، مجلة البحوث الإسلامية، ع2، 2015، ص 153، دار

المنظومة، 202910

- دراسة منى عبد الله آدم، بعنوان: "ضوابط فقه الأقليات"، لمنى عبد الله آدم.¹⁸ سعت الكاتبة من خلاله إلى تتبع الضوابط المنهجية التي يستفيد منها المجتهد في قضايا الأقليات. ومن ذلك كل من: تعميق الشعور لديهم بالمواطنة في البلدان التي يقيمون فيها مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، والجمع بين فقه النص ومعرفة الواقع بدل الركون إلى اجتهادات قديمة لا تتناسب مع واقعهم، واعتماد الاجتهاد الجماعي، وفقه المقاصد، والمصلحة العامة، وفقه التيسير، وسنة التدرج.

- دراسة إسماعيل الحسني، بعنوان: "قراءة في بنية فقه الأقليات"، لإسماعيل الحسني.¹⁹ حيث استعرض منع جانب من الفقهاء السابقين لإقامة المسلمين في بلاد غير إسلامية، والردود على ذلك الرأي، معتبراً وجود المسلمين خارج أرضهم يحقق عدة أغراض. وأشار إلى أن النظر للأقليات من منطلق دار الحرب لا يناسب الواقع الحالي، وأن حياة المسلمين لا تقوم على التوقع في منطقة جغرافية واحدة مهما اتسعت، وأن الاختلاط الإيجابي مع غير المسلمين حتى لو تسبب ببعض الغش لا ضير فيه ما لم يمس الجانب الاعتقادي للمسلمين. وأن الله تعالى لا ينهانا عن البر والقسط مع الناس الذين لم يحاربونا في الدين ولم يخرجونا من ديارنا. ثم أورد جانباً من القواعد والضوابط لفقه الأقليات. وأكد على أسبقية القرآن وتقديمه على ما سواه وتبعية كل ما سواه له لتفهم جميعها في إطاره، وضرورة الانطلاق من عالمية الخطاب القرآني، ومن القواعد المقاصدية، وقاعدة حل الطيبات ابتداءً.

¹⁸ آدم، منى، ضوابط فقه الأقليات، مجلة البحوث الإسلامية، س2 ع8، ص9، 2016،

المنظومة 748995

¹⁹ الحسني، إسماعيل، قراءة في بنية فقه الأقليات، مجلة إسلامية المعرفة، مج8، ع30، ص

119، 2002، دار المنظومة 104115

- دراسة محمد عبد الله شيان، بعنوان: "القواعد الأكثر التصاقاً بفقهاء الأقليات"، لمحمد عبد الله شيان²⁰. وهي رسالة دكتوراة للمؤلف توسعت في شرح القواعد المناسبة لفقهاء الأقليات، والتمثيل عليها. حيث تناولت كلاً من: قاعدة التيسير ورفع الحرج، وقاعدة تغير الفتوى، وقاعدة الضرورة والحاجة، والعرف وأثره، وقاعدة النظر في المآلات، وقاعدة قيام جماعة المسلمين مقام القاضي.

- دراسة سليمان توبوليك، بعنوان: "الأحكام السياسية للأقليات المسلمة"²¹. وهي رسالة ماجستير للمؤلف تناول فيها تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار حرب، ثم عرّف بالأقليات. وتطرق إلى حكم الإقامة في دار المشركين مرجحاً الجواز لكثرة الشواهد على ذلك.²² وتناول حكم التجنيس بجنسية تلك الدول مرجحاً حرمتها بالظروف الطبيعية وإنما تباح لظروف خاصة فيختلف حكمها بحسب سببها وأهدافها. وتطرق لمشاركة المسلمين في الوظائف العامة والحكومية في تلك الدول وحتى الالتحاق بالجيش مرجحاً خضوعها لمعيار المصلحة فتجوز استثنائياً للمصلحة. وكذا المشاركة في أحزابهم وتشكيل أحزاب خاصة والمشاركة في الانتخابات. ثم تطرق لعلاقتهم بدولهم الأصلية باعتبارهم جزءاً من هذه الأمة.

²⁰ شيان، محمد عبد الله، القواعد الأكثر التصاقاً بفقهاء الأقليات، رسالة دكتوراه 2009،

المنظومة 561787

²¹ توبوليك، سليمان، الأحكام السياسية للأقليات المسلمة"، دار النفائس، عمان 1998

²² نسب ذلك إلى عددٍ من أمهات كتب الفقه والحديث والتفسير، ومنها: فتح الباري لابن حجر 39/6، وأحكام القرآن للخصاص 305/2، وأحكام القرآن لابن العربي 484/1، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 248/5 ومجموع فتاوى ابن تيمية 240/28، والمغني لابن قدامة 505/10، والمحلى لابن حزم 349/7، ونيل الأوطار للشوكاني 177/8، وسبل

السلام للصنعاني 89/4

* هذه الدراسات السابقة، كعينة لأهم ما صدر من دراسات حول الموضوع، قدّمت لنا صورةً عن الأقليات المسلمة، وبيّنت الحاجة لفقهِ جديدٍ يشترك مع الفقه العام بأصول اجتهاده، لكنه يختلف عنه ببعض التطبيقات في شتى المجالات، وذلك لظروف الأقليات التي تبرر تخصيصها ببعض الأحكام الاجتهادية، كما أصل لبعضها القرضاي بجرأةٍ لم يبلغها الكثيرون. فقد استطاع رحمه الله فتح باب فقه الأقليات وفق أسس منضبطة. وقد أفادَ بحثنا بما قدمته هذه الدراسات، لفهم اجتهادات القرضاي ومرتكزاتها في إطار ذلك، ولتتبع مظاهر التجديد في اجتهاداته.

3. نبذة تاريخية عن قضايا الأقليات واهتمام القرضاي بها،

وتأكيد حاجتها إلى فقهٍ خاص

3:1. نبذة تاريخية عن قضايا الأقليات ودور القرضاي فيها

نشأت قضايا الأقليات مع حركة الجماعات وهجرتهم منذ القديم لأسبابٍ معيشيةٍ ودينيةٍ وعرقيةٍ متعددة، يتعلّق بعضها بالهروب من الاضطهاد والبحث عن الأمان، وبعضها في ضيق الحياة وشح الموارد بحثاً عن العيش الرغيد، وبعضها نتيجةً للحروب، وربما كان بعضها نتيجةً للحركة التجارية العابرة للبلاد. وعندما تستقر هذه الجماعات في أماكن جديدةٍ وسط قومٍ آخرين يفوقونهم عدداً ويختلفون عنهم في اللغة أو العرق أو الدين²³، تظهر لهم العديد من التحديات والمشكلات التي تدفعهم إمام إلى الانصهار مع المجتمع الجديد، وإما إلى التقوقع على الذات حماية لهويتهم.

²³ العمراني، محمد الكدي، فقه الأقليات، مجلة المجلس العلمي، س4، ع10، 2011، دار

ثم إن قضايا الأقليات قد بدأت بالانتساع مع ظهور الدولة القطرية التي تفرض على مواطنيها الالتزام بالنظام العام للبلد وعدم موالاة أي جهة خارجية، وهو ما خلق للأقليات تحديات جديدة في ظل شك الأغلبية بولاء هذه الأقليات وارتباطها بأصول لغوية ودينية وعرقية من خارج البلد. وقد اتخذت بعض الدول ذلك ذريعةً لحرمان هذه الأقليات من أبسط حقوقها الإنسانية بل وربما للبطش بأفرادها. وهو ما دعا المؤسسات الدولية الأممية الحديثة لإصدار عددٍ من الإعلانات لحماية الأقليات ومساواتهم بسائر المواطنين الآخرين ومنحهم الحق بممارسة شعائهم الدينية واستخدام لغتهم والمشاركة بالشؤون العامة في البلد الذي يقيمون فيه²⁴.

ويشكل المسلمون اليوم نسبةً كبيرةً من هذه الأقليات، بل ويبلغون أكثر من ربع تعداد المسلمين في العالم²⁵. وهو ما دعا العلماء المسلمين للاهتمام بقضاياهم ومحاولة الإجابة على مسائلهم. خاصةً أن قضاياهم لم تعد محصورةً بالشعائر والشؤون الفردية، إنما تعدتها إلى القضايا العامة والسياسة والاقتصادية التي تفرض نفسها عليهم وتؤثر في حياتهم ولا مجال لتجنبها. وعندما نشأت المراكز الإسلامية الاجتماعية والعلمية في أواسط تلك الأقليات واتسع تأثيرها في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي فقد أخذت على عاتقها الإجابة على تلك التساؤلات مع الاستعانة بعدد من العلماء والمراكز العلمية في العالم الإسلامي كرابطة العالم الإسلامي والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وغيرهما. وقد عقدت تلك المؤسسات وغيرها مئات المؤتمرات والملتقيات العلمية حول العالم وفي الغرب خاصةً للتدارس

²⁴ عطية، جمال الدين، نحو فقه جديد للأقليات، دار السلام، القاهرة 2003

²⁵ القرضاوي، يوسف، أولويات الحركة الإسلامية، ص 114، مؤسسة الرسالة، بيروت،

حول هذه القضايا، واستضافت لها العديد من العلماء والدعاة من العالم الإسلامي²⁶.

وقد كان القرضاوي الحاضر الدائم والمشارك الفعال في الكثير من تلك المؤتمرات والملتقيات بل وفي رئاسة أو عضوية عددٍ من تلك المؤسسات والمراكز العلمية المهمة بشؤون الأقليات كالمجلس الأوروبي للإفتاء وغيره. وقدم لهم العديد من الدراسات وصدر لهم الكثير من الفتاوى والاجتهادات الفردية والجماعية. ذلك فضلاً عن مشاركته في المؤتمرات التي كان يعقدها المسلمون المغتربون المقيمون في الغرب للدراسة وغيرها. وقد تشرف الكاتب برئاسة إحدى هذه المؤتمرات التي شارك فيها فضيلته أواسط التسعينيات ببريطانيا. ولا شك أن اختيار هذا الموضوع للكتابة فيه، إنما يعود إلى الدور البارز للشيخ القرضاوي في هذا المجال، والذي تجلّى من خلال جهوده ومؤلفاته المتعلقة بالأقليات عبر ما يزيد على النصف قرن. فقد بدأ اهتمام القرضاوي بقضايا المسلمين خارج بلادهم مبكراً عندما ألف كتاب "الحلال والحرام" أواخر ستينيات القرن الماضي بناءً على طلب من مشيخة الأزهر ليكون دليلاً ومرشداً لهؤلاء المسلمين ولكل من يدخل في الإسلام. ثم تطوّر الأمر عبر فتاويه لهم والتي ضمّنها كتاب "فتاوى معاصرة" الذي أصدره تبعاً بأجزائه الأربعة. ثم أصدر كتابه "في فقه الأقليات" والذي ضمّنه أهم آرائه واجتهاداته لهم.

²⁶ القرضاوي، يوسف، فقه الأقليات المسلمة، دار الشروق، القاهرة 2001. وحلاوة،

حسين، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، ملتقى الإمام القرضاوي، الدوحة، 2007

كما تمت استضافته للعديد من البرامج التلفزيونية والإذاعية للحديث في قضايا الأقليات كبرنامج "الشريعة والحياة" على فضائية الجزيرة²⁷.

وقد تميزت آراء القرضاوي بالجدّة والجرأة والرصانة، والدعوة إلى الترشيح والاعتدال ونبذ كل أشكال التطرف والتحلل، والسعي إلى الاستفادة من التراث الفقهي بما يناسب عصرنا. كما سعى لوضع الأسس والمرتكزات والضوابط لذلك الفقه بنفسه، ضمن سعيه لتجديد الاجتهاد وعصرنته وترشيده من المغالين والمتسيبين على حدٍ سواء²⁸.

3: 2. حاجة الأقليات المسلمة إلى فقه متخصص جديد

ينبغي ابتداءً التمييز بين كون الأقليات المسلمة جزءاً من أمتهم المسلمة بالهوية والانتماء العقائدي، وبين كونهم مواطنين في بلدهم بحكم المواطنة وربما النشأة فيها. ثم إن هذه الأقليات تطرأ لها العديد من المسائل التي تحتاج إلى جواب شرعي بخصوصها، بدءاً بحكم إقامة المسلم والتجنس في تلك البلاد، ومروراً بحكم الأطعمة وشؤون الأسرة والتعاملات المالية، وانتهاءً بالانخراط بالحياة العامة والسياسية. والوجود الإسلامي في الغرب كأقليات ظاهرة عامة ومهمة، لما لهم من تأثير عند صناع القرار في العالم. لذا كان من الواجب على فقهاء العصر التأسيس لفقه جديد لهم، يجيب على تساؤلاتهم ويحفظ لهم هويتهم.

²⁷ حلاوة، حسين، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، ملتقى الإمام القرضاوي، الدوحة،

2007

²⁸ الحق، حُسن، التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي. الجامعة الإسلامية،

بوروكيرتو، 2016.

وبالرغم من كون فقه الأقليات يلتقي مع أصول الفقه ومرتكزاته، إلا أن له خصوصياته التي يجب أخذها بعين الاعتبار بحكم الحاجة والضرورة وبسبب اختلاف الزمان والمكان والعوائد عن سائر المسلمين المقيمين في بلادهم الأصلية اليوم وعن المسلمين السابقين الذين أفتى لهم العلماء وملاّت اجتهاداتهم كتب التراث الفقهي.

ومن أهداف هذا الفقه الجديد: مساعدة هؤلاء المسلمين للعيش وفق تعاليم الإسلام دون ضيق أو حرج، والإجابة على نوازلهم الطارئة، وتمكينهم من حمل دعوة الإسلام وتبليغها بلغة القوم ومعطيات العصر، وتشجيعهم على اتباع المرونة والانفتاح المنضبط حتى لا ينكمشوا أو يتقوقعوا على أنفسهم. لذا يجب أن يصدر هذا الاجتهاد الفقهي الجديد عن أهله المؤهلين لذلك. وينبغي أن يكون اجتهاداً انتقائياً ترجيحياً مما جاء في التراث الفقهي، وإبداعياً إنشائياً للمستجدات التي لا سوابق لها. فإذا كانت الحنفية قد انتقت من أقوال إمامها وعدّلت عليه لاختلاف العرف والزمان عما كان عليه إمامهم، فحالنا اليوم أولى بذلك الاعتبار لطول الفترة وكثرة التغيرات.²⁹

فالفقه الخاص الذي يطالب به القرضاوي وغيره، هو الذي يراعي واقع الأقليات وخصوصياتهم، ولكن في إطار الفقه العام ومرجعياته وليس خارج ذلك. ومصادره هي القرآن والسنة والإجماع والقياس وسائر الأدلة الأخرى ومن أهمها هنا العرف والمصلحة والمقاصد.³⁰

²⁹ القرضاوي، يوسف، في فقه الأقليات المسلمة، ص15، 25، 30، 34، 36، دار الشروق، القاهرة 2001

³⁰ الحق، حُسن، التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، بوروكيرتو، 2016

وحاجة الأقليات لفقه خاص، ليست فكرة القرضاوي وحده، بل قال بها آخرون أو تبعوه في ذلك. فهذا عبد الله بن بيه، يصف أوضاع المسلمين في هذه الأقليات بأوضاع الضرورة والحاجة، لذلك فهي تحتاج لفقه خاص ليس غريباً عن الفقه العام وأصوله ومرجعياته، إنما له خصوصياته نظراً لظروف الأقليات الخاصة. كما عرض قواعد فقهية وأصولية للإفتاء لهم³¹.

وكذا ذهب جمال الدين عطية للقول بضرورة تأسيس اجتهاد جديد للأقليات، ذلك أن التراث يمثل اجتهادات بشرية لظروف تغيرت مع الزمان ولكثرة المستجدات. لذلك يجب الاستفادة من التراث ولكن دون إضفاء القداسة عليه. وذكر المرجعيات التي يستند عليها هذا الفقه³².

وهكذا الحال مع أغلب الذين كتبوا في موضوع الأقليات، كما يتضح من الدراسات السابقة التي وردت في هذا البحث آنفاً³³.

وبالتالي، فقد تأكدت الحاجة لفقه جديد خاص بقضايا الأقليات، كما هو الحال مع سائر المجالات الأخرى كفقه الأسرة والأحوال الشخصية والمعاملات المالية والقضايا الطبية. وإنما قلنا بتأكد ذلك لكثرة النوازل والمستجدات لدى الأقليات المسلمة ولاختلاف ظروفهم عما كانت عليه أوضاع المسلمين السابقين. ومعلوم أنه لا يُنكر تغير الأحكام الاجتهادية بتغير الزمان والمكان والعوائد. وهذا ما قال به القرضاوي وردده أغلب العلماء المعاصرين في مؤلفاتهم وفتاويهم.

³¹ ابن بيه، عبد الله، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، دار المناهج بالسعودية 2007

³² عطية، جمال الدين، نحو فقه جديد للأقليات، دار السلام، القاهرة 2003

³³ ينظر ذلك في فقرة الدراسات السابقة التي وردت في هذا البحث آنفاً.

4. الأصول التي قامت عليها اجتهادات القرضاوي

4: 1. الأصول التي قامت عليها اجتهادات القرضاوي لتحديد الاجتهاد بشكل

عام

جاء في كتاب الاجتهاد للقرضاوي³⁴ بأن من شروط المجتهد: العلم بالقرآن والسنة، وباللغة العربية، وبمواضع الإجماع المتيقنة، وبمواضع اختلاف العلماء، وبأصول الفقه وقواعده، وبمقاصد الشريعة وفي مقدمتها رعاية المصالح، ومعرفة واقع الحياة وعادات الناس وأعراف مجتمعاتهم وثقافة عصرهم، والتحلي بالتقوى والعدالة والسيرة الحسنة في شخصه.

ودعا للتوجه للاجتهاد الجماعي عبر المجامع العلمية للنظر في القضايا المهمة، وإلى إعادة النظر في القديم عبر الاجتهاد الانتقائي الترجيحي، وإلى الاهتمام بقضايا العصر عبر الاجتهاد الإنشائي، مع مراعاة تغير الفتوى بتغير الزمان وأعرافه.

كما تناول ضوابط الاجتهاد المعاصر، والتي منها: است فراغ الجهد في العملية الاجتهادية وعدم التسرع في الجواب، وعدم الاجتهاد في المسائل القطعية، وعدم تحويل الظنيات إلى قطعيات يمنع مناقشتها، وعدم الفصل بين الفقه والحديث، والحذر من الوقوع تحت ضغط الواقع لتبريره والتساوق مع أهله، وعدم التبرّم من كل جديد، وعدم الغفلة عن روح العصر وحاجاته.

³⁴ القرضاوي، يوسف، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، دار القلم، الكويت 1996

وجاء في كتاب فقه الزكاة للقرضاوي:³⁵ ينبغي اختيار أرجح الآراء وفقاً لنصوص الشريعة ومقاصدها العامة وقواعدها الكلية، مع مراعاة طبيعة العصر وتطور الأوضاع فيه، بناءً على قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان. ومصادر الاستدلال تتمثل في القرآن وعموماته، والسنة الصحيحة والحسنة دون سواهما، وسنن الخلفاء الراشدين، والاختيار من أقوال الفقهاء ما يكون أقوى حجة وأقرب إلى مقاصد الشرع وروح الإسلام، وعدم حصر ذلك في المذاهب الأربعة، إنما يبدأ بأقوال الصحابة والتابعين ثم سائر فقهاء الأمة من المذاهب وسواها. وقد تجنّب القرضاوي الاختلافات الفقهية في كل بابٍ عبر الترجيح بين الأقوال بالحجة والدليل. كما أخذ بعموم النصوص، واحترم الاجماع المتيقن، وعمل بالقياس الصحيح، واعتبر المقاصد والمصالح، وجمع بين الفقه والدعوة والسياسة.

وجاء في كتاب تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن للقرضاوي:³⁶ يُقصد بذلك تيسيرُ عرضه للفهم، وتيسير أحكامه للتطبيق. وذلك يشمل: مراعاة الرخص للضروريات والحاجيات والظروف المخففة، واختيار الأيسر بدل الاستكثار من الأحوطيات التي تغلق الدين وتعقد الحياة على الناس، والتيسير في الفروع خلافاً للأصول، والتضييق في مساحة الإيجاب ومساحة التحريم في حدود النص لصالح منطقة العفو التي أطلقته الشريعة، والتحرر من التعصب المذهبي والتقليد لصالح الترجيح والانتقاء منهم ومن غيرهم، والتيسير في الأمور التي تعم بها البلوى، ورعاية

³⁵ القرضاوي، يوسف، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، بيروت 2007، والنسخة الأولى عام

1969

³⁶ القرضاوي، يوسف، تيسير الفقه للمسلم المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001

المقاصد العامة والقواعد الكلية، ومراعاة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف، والتوثق من دعاوى الإجماع، وتمييز السنة التشريعية عن غيرها.

وجاء في كتاب كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف للقرضاوي:³⁷ أن الموقف السليم تجاه التراث ما بين القفز عليه وتقديسه، إنما هو في اختيار الحسن منه من غير تقديسٍ له. كما تناول موضوع التقليد، ونوّه للأخذ عن غير المذاهب الأربعة بدل حصر الرأي فيهم.

وجاء في كتاب الخصائص العامة للإسلام للقرضاوي:³⁸ شرح الخصائص العامة التي يتصف بها الإسلام عقيدةً وشرعةً، وهي: الربانية، والإنسانية، والشمول، والوسطية، والتوازن، والواقعية، والوضوح، والجمع بين الثبات والمرونة، والتيسير ورفع الحرج، ومراعاة سنة التدرج، والتزول عن المطلق والمثالية للممكن، وتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعوائد.

وجاء في كتاب الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، للقرضاوي:³⁹ عشرة خطوط أساسية لترشيد الصحوة، وهي: الانتقال من الشكل والمظهر إلى الحقيقة والجوهر. ومن الكلام والجدل إلى العطاء والعمل. ومن العاطفية والغوغائية إلى العقلانية والعلمية. ومن الفروع والذبول إلى الرؤوس والأصول. ومن التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير. ومن الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد. ومن التعصب والانغلاق إلى التسامح والانطلاق. ومن الغلو والانحلال إلى الوسطية

³⁷ القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع التراث والتمذهب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2،

2004

³⁸ القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط6، 2003

³⁹ القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، دار الشروق، القاهرة

2002

والاعتدال. ومن العنف والنقمة إلى الرفق والرحمة. ومن الاختلاف والتشاحن إلى الائتلاف والتضامن.

وجاء في كتاب شريعة الإسلام، خلودها وصلاحها للتطبيق، للقرضاوي:⁴⁰ سردُ المزايا والخصائص التي ضمنت تحقق ذلك، كالجمع بين المرونة والثبات وسعة المجال أمام السياسية الشرعية دون الحاجة لتوقفها على النص إنما الاكتفاء بعدم معارضتها له. ويبيّن أن الحل اليوم بالعودة للاجتهاد الانتقائي من التراث والإنشائي للنوازل. ويبيّن كيفية التعامل مع مصادر التشريع. كالتأكد من ثبوت النص ومن صحة فهمه ومن مجيئه للتشريع ومن عدم ارتباطه بظرف خاص وعرف متغير. والتأكد من ثبوت الإجماع وعدم تغيير المصلحة التي كان لأجلها. والاجتهاد للنوازل بعيداً عن الضغوط التي قد تحرفه عن مقاصده، وتفعيل الاجتهاد الجماعي.

وجاء في كتاب أولويات الحركة الإسلامية، للقرضاوي:⁴¹ الحاجة إلى فقه جديد بالمعنى الواسع للفقه وفهم الدين ورسالته. ومن أنواع الفقه المنشود: فقه الموازنات وفقه الأولويات. والجمع بين فقه الشرع وفقه الواقع. والاهتمام بالفكر العلمي الواقعي السلفي التجديدي الوسطي المستقبلي. وتبني فقهاً سياسياً رشيداً في شتى مجالات السياسة. والاهتمام بالأقليات المسلمة خارج بلاد المسلمين. والاهتمام بالمغتربين. وحُسن التعامل مع قضايا الأقليات غير المسلمة في المجتمعات الإسلامية وفق سماحة الإسلام وإقراره بالحرية الدينية وعدم الإكراه.

⁴⁰ القرضاوي، يوسف، شريعة الإسلام، خلودها وصلاحها للتطبيق، المكتب الإسلامي،

1393هـ

⁴¹ القرضاوي، يوسف، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، مؤسسة الرسالة،

بيروت 1990

واستطاع حُسن الحق صاحب كتاب "التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي"⁴²، أن يصوغ عباراته مرتكزات القرضاوي في الاجتهاد حيث قال: أن منهج القرضاوي في الفتوى يقوم على الحجة والدليل، وعلى التيسير، والتحرر من العصبية والتقليد، والانتفاع بالثروة الفقهية للمذاهب وعلماء السلف من غير تقديس، ومخاطبة الناس بلغة العصر، والتوضيح والتعليل للفتوى، والوسطية والاعتدال، والاهتمام بما يلزم، والموازنة بين المصالح والمفاسد، والجمع بين التراث والعصرنة ومعطيات الواقع، والربط بين عالمية الإسلام وواقع الناس وعاداتهم، والموازنة بين النصوص الفرعية ومقاصد الشريعة وكلياتها ورد الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات، وفقه الأولويات والموازنات، ومراعاة اختلاف الفتوى باختلاف الزمان والمكان والظرف، والحفاظ على تمايز الشخصية المسلمة مع التواصل مع المجتمع والاندماج في شؤونه من غير ذوبان فيه، والسعي لاجتهاد إنشائي انتقائي، ومراعاة القواعد والمقاصد، والعناية بفقه الواقع المعيش، والتركيز على فقه الجماعة وليس على قضايا الفرد فحسب، وتبني منهج التيسير، ومراعاة سنة التدرج، والاعتراف بالضرورات والحاجات، وتضييق الإيجاب والتحریم إلى حدود النص، والتيسير فيما تعم به البلوى.

* هذه هي مجمل الأصول والمرتكزات التي بنى عليها القرضاوي اجتهاده المعاصر. وتعتبر الإطار العام الذي ينطلق المجتهد من خلاله إلى الاجتهاد في قضايا الأقليات. ومع ذلك، فإن هذا لا يمنع البحث في المرتكزات الخاصة لفقه الأقليات عنده، وهو ما نتناوله في الفقرة اللاحقة.

⁴² الحق، حُسن، التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، الجامعة الإسلامية، بوركيرتو

4: 2. الأصول التي قامت عليها اجتهادات القرضاوي لفقه الأقليات المسلمة

عمدت الدراسة إلى رصد الأصول والمرتكزات التي بنى عليها الشيخ القرضاوي اجتهاداته الجديدة لفقه الأقليات المسلمة حول العالم، من خلال تتبع واستقراء مؤلفاته ولقاءاته وفتاويه المنشورة التي تناولت موضوع الأقليات.

فقد جاء في كتاب فقه الأقليات المسلمة، للقرضاوي:⁴³ خصائص الفقه المنشود للأقليات تتمثل في: التوفيق بين التراث والواقع. والربط بين عالمية الإسلام وواقع مجتمعاتهم الخاصة. والجمع بين فروع الشريعة وأحكامها الجزئية وبين مقاصد الشريعة وكلياتها. ومراعاة اختلاف الفتوى باختلاف الزمان والمكان والعوائد. واتباع فقه الموازنة وفقه الأولويات في النظر للمصالح والمفاسد. والتوفيق بين الحفاظ على هويتهم الإسلامية واندماجهم في شؤون مجتمعاتهم من غير عزلة ولا ذوبان.

ومصادر هذا الفقه: القرآن الكريم وتقديمه على كل ما سواه. والسنة النبوية الصحيحة التي جاءت للتشريع وأن يتم فهمها في إطار القرآن. والإجماع المتيقن الذي لم يكن محكوماً بظرف متغير. والقياس الصحيح بشروطه. والمصلحة المرسله والاستحسان وسد الذريعة والاستصلاح والعرف وقول الصحابي. ومراعاة القواعد الفقهية الكلية ذات الصلة، ومن أهمها: الأمور بمقاصدها، والعادة محكمة، ودرء المفسدة أولى من جلب المصلحة، والمشقة تجلب التيسير، والأصل في الأشياء الإباحة، والأصل في العادات والمعاملات النظر في العلل والمصالح، والمسلمون عند

⁴³ القرضاوي، يوسف، في فقه الأقليات المسلمة، ص40-70، دار الشروق، القاهرة

شروطهم، والإسلام يَجِبُ ما قبله، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والعناية بفقهاء الواقع المعيش إلى جانب النصوص، والاستعانة بأهل الخبرة لمعرفة الواقع وفهم القضية المنظورة. والتركيز على فقه الجماعة بدل الانشغال بفقهاء الفرد. وتبني منهج التيسير بدل التشدد. ومراعاة قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعوائد. ومراعاة سنة التدرج. والاعتراف بالضرورات والحاجيات وأخذها بعين الاعتبار. والتحرر من التقليد المذهبي. والتقريب بين أصحاب الأديان مع استقلالنا بعقيدتنا. والحوار بالحسنى والجدال بالتي هي أحسن والتزام القسط والبر معهم والتركيز على القواسم المشتركة والوقوف معاً في وجه دعاة الإلحاد والتحلل والفساد. وإشاعة روح التسامح.

كما تتبع تلك الأصول والمرتكزات التي بنى عليها القرضاوي اجتهاداته لفقهاء الأقليات عددٌ من الباحثين المعاصرين الذين تناولوها بالرصد والتحليل والإطراء. فهذا حسين حلاوة، في "فقهاء الأقليات عند الشيخ القرضاوي"⁴⁴ يتناول منهج القرضاوي في فقه الأقليات، ثم يبين خصائص هذا الفقه كالمجمع بين ما جاء في تراثنا الفقهي وما استجدَّ من نوازل ومعطيات، والموازنة بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية، ورعاية المصالح، ومراعاة اختلاف الفتوى باختلاف الظروف والزمان والمكان. وأن ذلك يستدعي الاعتماد على الاجتهاد المعاصر، والاختيار من التراث بدل تقديسه، والاستفادة من القواعد الفقهية وعلم المقاصد والمآلات والضرورة والحاجة، والتحرر من التقليد المذهبي، ومراعاة سنة التدرج. مع التأكيد

⁴⁴ حلاوة، حسين، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، ملتقى الإمام القرضاوي، الدوحة،

على أن الحاكمية إنما تعود إلى ما جاء في كتاب الله وفي مقدمة ذلك آيتا البر والقسط في سورة الممتحنة مع الذين لم يقاتلونا في الدين ولم يُخرجونا من ديارنا. وهذا حُسن الحق، في "التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي"⁴⁵ يسرد أهداف فقه الأقليات عند القرضاوي. ويذكر خصائص هذا الفقه عنده، وهي: الجمع بين التراث والعصرنة ومعطيات الواقع، والربط بين عالمية الإسلام وواقع الأقليات وعاداتهم، والموازنة بين النصوص الفرعية ومقاصد الشريعة وكلياتها ورد الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات، وفقه الأولويات، وفقه الموازنات، ومراعاة اختلاف الفتوى باختلاف الزمان والمكان والظرف، والحفاظ على تمايز الشخصية المسلمة مع التواصل مع المجتمع والاندماج في شؤونه من غير ذوبان فيه. ويقول بأن من ركائز هذا الفقه عنده: الحاجة لاجتهاد معاصر إنشائي انتقائي، ومراعاة القواعد الفقهية الكلية، والعناية بفقه الواقع المعيش، والتركيز على فقه الجماعة، وتبني منهج التيسير، ومراعاة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، ومراعاة سنة التدرج، ورعاية المقاصد، والتزام الوسطية والاعتدال، والاعتراف بالضرورات والحاجات، والتحرر من التقليد والتعصب المذهبي. ويقول بأن التيسير والسماحة والسعة من صميم الشريعة، ومن أسبابه الضرورة والحاجة والمشقة وعموم البلوى. ثم إن هذه المرتكزات ليست خاصة باجتهادات القرضاوي لفقه الأقليات. بل قال بما عدّد من العلماء والكتاب المعاصرين الذين تناولوا موضوع الأقليات المسلمة، إما بشكلٍ مستقلٍ عن القرضاوي وجهوده، وإما متأثرين بتلك الجهود ومرتكزاتها بشكلٍ من الأشكال.

⁴⁵ الحق، حُسن، التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، الجامعة الإسلامية،

فهذا عبد الله بن بيه، في كتابه "صناعة الفتوى وفقه الأقليات"،⁴⁶ يعرض عدداً من القواعد الفقهية والأصولية التي تنظم الإفتاء بصورة عامة ونوازل المسلمين في الغرب بصورة خاصة، ويركز على القواعد الأساسية التي تنظم الاجتهاد لقضايائهم. وقال بحاجتهم إلى فقه خاص يرجع للكتاب والسنة وإلى كليات الشريعة وقواعدها العامة التي تتعلق بحالهم، كالخرج والضرورة والحاجة وعموم البلوى وتغير الفتوى والمصلحة والمفسدة وارتكاب أخف الضررين وفقه الموازنات وسقوط بعض الأحكام خارج دار الإسلام، والاجتهاد الترجيحي والانتقائي، والاهتمام بالواقع، وورع المفتي وجرأته، والحفاظ على الحياة الدينية للأقليات، والقيام بالدعوة والتبليغ للآخرين، وتأصيل العلاقة مع الغير، والانتقال من الحياة الفردية للقضايا الجماعية، واتباع التيسير، ومراعاة تغير الفتوى وتزليل الحاجة منزلة الضرورة والعرف والمآلات، وسد الذرائع، وقيام جماعة المسلمين مقام القاضي. ومن الأمثلة التي أوردتها على فقه الأقليات جواز الإقامة في دار الكفر، خلافاً لفتاوى سابقة تبعت حديث "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين" دون تعليقه وتأويله على غير الظاهر ومعرفة مناسبه بدل التعميم. خاصة أن الجمهور أجاز الإقامة في بلاد المشركين للقادر على إظهار دينه. وهذا ابن حجر⁴⁷ ينسب للماوردي أن ذلك عندها أفضل من الإقامة في دار الإسلام لدعوة الناس للإسلام. وقال بأن الجنسية فرع عن الإقامة تقع عليها الأحكام الخمسة حسب ظروفها وسببها وآثارها. وبخصوص اختلاف الأحكام باختلاف المكان فهذا لا يكون في الأحكام الأصلية الثابتة بالنصوص، إذ لا تأثير للمكان على الأحكام.

⁴⁶ ابن بيه، عبد الله، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، دار المناهج بالسعودية 2007

⁴⁷ في فتح الباري 7/ 230

وخالف أبو حنيفة في بعض ذلك لمن هم في دار الكفر، وثمة قول مشابه منسوب لأحمد بن حنبل. وقد أفتى المجلس الأوروبي بجواز شراء بيت السكن بفائدة بنكية للحاجة. وفي العلاقات الإنسانية مع غير المسلمين فهي تقوم على حسن الحوار وآية لا ينهاكم الله. ومن ذلك جواز تهنئتهم بأعيادهم من غير العبارات التي تفرهم على دينهم. ومن ذلك بقاء المرأة التي تعتنق الإسلام دون زوجها على العلاقة الزوجية معه طمعاً في إسلامه وعملاً برأي بعض الصحابة. وكذلك جواز تورث الذي اعتنق الإسلام من ميراث أهله الذين بقوا على دينهم للمصلحة واتباعاً لقول بعض الصحابة والسلف. ومن ذلك جواز المشاركة في الانتخابات وغيرها من باب المصلحة والموازنات التي تقدرها ظروفهم.

وهذا إسماعيل الحسني، من جامعة محمد الخامس بالمغرب، صاحب "قراءة في بنية فقه الأقليات"،⁴⁸ يورد جانباً من الضوابط لفقه الأقليات، ومنها: ضرورة الانتباه للبعدين المكاني والزمني، والفهم العلمي التام للواقع لتنقيح المناط وتخريجه وتحقيقه، وتحديد دور الفقه الموروث، والتركيز على فقه الموازنات والأولويات والمآلات وفقه الواقع، مؤكداً على أسبقية القرآن وتقديمه على ما سواه وتبعية كل ما سواه له لتفهم جميعها في إطاره أو يتم تأويلها وفق ما جاء فيه، وضرورة الانطلاق من قيمة التيسير، وعالمية الخطاب القرآني، والقواعد المقاصدية، وحلّ الطيبات.

⁴⁸ الحسني، إسماعيل، قراءة في بنية فقه الأقليات، إسلامية المعرفة، مج8، ع30، ص 119،

وهذا صلاح الدين سلطان، في "ضوابط المنهجية لفقه الأقليات"،⁴⁹ يُنوّه بأهمية تعميق الشعور بالمواطنة لدى الأقليات تجاه البلدان التي يقيمون بها ووجوب المشاركة الإيجابية كمواطنين لا كغرباء، وحمل رسالة الإسلام، وإصلاح المجتمع والعالم في ضوء تعاليمه الإنسانية العالمية، وتفعيل فقه المقاصد وفهم التراث في إطارها، ومراعاة الأولويات والموازنات والمآلات، وفتح قنوات للحوار مع غير المسلمين، والتقريب بين المذاهب، واعتماد الاجتهاد الانتقائي، والتوسط بين التقليد وعدم التمسك به، وتبني فقه التيسير ومراعاة سنة التدرج، وإيجاد البدائل للأمور المحظورة.

وهذا محمد عبد الله شيان، في "القواعد الأكثر التصاقاً بفقه الأقليات"،⁵⁰ يتناول عدداً من القواعد، كقاعدة التيسير ورفع الحرج، وتغير الفتوى، والضرورة والحاجة، والعرف وأثره، والنظر في المآلات، وقيام جماعة المسلمين مقام القاضي. ويربط كلاً منها بفقه الأقليات والتمثيل على ذلك.

وهذه منى عبد الله آدم، في "ضوابط فقه الأقليات"،⁵¹ تشير إلى وجود ضوابط منهجية للاجتهاد في قضايا الأقليات وعلى المجتهد الالتزام بها. ودعت إلى تعميق الشعور لديهم بالمواطنة تجاه البلدان التي يقيمون فيها مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، والجمع بين فقه النص ومعرفة الواقع بدل الركون إلى اجتهادات قديمة لا

⁴⁹ سلطان، صلاح الدين، الضوابط المنهجية لفقه الأقليات، Noor-book.com ت مشاهدة 202/3/20

⁵⁰ شيان، محمد عبد الله، القواعد الأكثر التصاقاً بفقه الأقليات، رسالة دكتوراه، 2009، المنظومة، 561787

⁵¹ آدم، منى، ضوابط فقه الأقليات، مجلة البحوث الإسلامية، س2 ع8، 2016، المنظومة، 748995

تتناسب مع واقعهم وظروف حياتهم، واعتماد الاجتهاد الجماعي للقضايا العامة لديهم، واعتماد فقه المقاصد، وتقديم المصلحة العامة لهم، ومراعاة الظروف الخاصة بهم، وتبني فقه التيسير، ومراعاة سنة التدرج معهم.

وهذا جميل حمداوي، في "فقه الأقليات"،⁵² قال بأن هذا الفقه له أصول ومبادئ تتعلق به. وعدّد خصائص فقه الأقليات والتي منها أنه: اجتهادي معاصر، مقاصدي، قواعدي، له أهدافه وأغراضه، وأن قضايا اجتماعية اقتصادية سياسية دينية شعائرية تربوية تعليمية ومسألة هوية. وذهب إلى تأصيله وفق أسسٍ منها: القرآن والسنة، والاجتهاد المعاصر، وفقه الواقع والموازنات والضروريات والحاجيات، والفقه المقارن الترجيحي الاستدلالي، وتجاوز الموروث مع الانتفاع به، وسنة التدرج، والتحرر المذهبي، ومنهج التيسير، والفقه المقاصدي.

وهذا محمد الكدي العمراني، في "فقه الأقليات"،⁵³ يورد عدداً من الأصول والركائز الواجب اعتمادها في فقه الأقليات، وهي: مرجعية القرآن والسنة وكليات الشريعة ومقاصدها، وقواعد الضرورة ورفع الحرج، والمشقة تجلب التيسير، والحاجة تترل منزلة الضرورة، وتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، والنظر في المآلات، واعتبار المقاصد، ومراعاة خصوصياتهم، والتطلع إلى تبليغ الإسلام من خلالهم. ودعا للتأصيل لفقه جماعي، وفقه عالمي.

⁵² حمداوي، جميل، فقه الأقليات، مجلة البحوث الإسلامية، ع2، 2015، ص 153، دار المنظومة، 202910

⁵³ العمراني، محمد الكدي، فقه الأقليات، المجلس العلمي، س4، ع10، ص162، 2011، المنظومة 400250

* ويتضح من خلال هذا العرض الموجز، أن أغلب هذه الأفكار الاجتهادية ومرتكراتها للعلماء المعاصرين، لا تختلف عما قال به الشيخ القرضاوي رحمه الله تعالى في تلك القضايا. ولا شك أن هذا التوافق مع الشيخ إنما يعود إلى الضوابط الشرعية التي ألزم الشيخ بها نفسه. ومن أبرز تلك الضوابط اعتباره فقه الأقليات، إنما تدور في فلك الاجتهاد العام ومرتكراته التي تواطأ عليها العلماء قديماً وحديثاً، رغم خصوصيتها التي أقرتها تلك الأصول أصلاً ورسمت طريقاً واضحةً للتعامل معها، من غير إنكار لها ولا شطط فيها.

5. نماذج من اجتهادات القرضاوي للأقليات المسلمة

نورد هنا نماذج من فتاوى القرضاوي للأقليات المسلمة حول العالم في شتى المجالات، بدءاً بباب العقيدة، مروراً بقضايا الأسرة، وصولاً للعلاقات الاجتماعية وحتى السياسية مع غير المسلمين. وقد تناول القرضاوي كل ذلك بجرأة ووضوح ومن غير جمودٍ على قولٍ أو تقديسٍ لاجتهاد.⁵⁴

5: 1. جواز إقامة المسلمين خارج بلاد الإسلام وإباحة تجنسهم بغير جنسية

الدول المسلمة

في برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة،⁵⁵ اعتبر القرضاوي قسمة العالم إلى دار إسلام ودار حرب قضية تاريخية، مشيراً إلى القسم الثالث الذي يتجاهله بعضهم وهو دار الهدنة أو العهد التي تنطبق على حالنا اليوم أكثر من دار حرب أو دار

⁵⁴ حلاوة، حسين، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، ملتقى الإمام القرضاوي، الدوحة،

2007

⁵⁵ برنامج الشريعة والحياة تقديم أحمد منصور على قناة الجزيرة في حلقتين لفقه الأقليات عام

1997، ولقاء آخر من تقديم حامد الأنصاري، ت مشاهدة 20 / 2 / 2023

إسلام، اللهم إلا لمن كانوا تحت احتلال. وقال بأن الأرض جميعها لله، وأن الهجرة مشروعةٌ بنص القرآن الكريم لأسبابها المتعددة. وأن الهجرة طريق لنشر الإسلام في العالم من غير حروب. ولا مجال لمنع الهجرة لظروف الناس التي تراعيها الشريعة. بل إن وجود الأقليات المسلمة اليوم في البلدان صاحبة التأثير العالمي مهمٌ للمسلمين. وأن الجنسية تعطي للمسلم قوةً ومزيدَ حقوق. لذا فالإقامة والتجنس في الغرب أكثر من مجرد مباح، بل من فروض الكفاية لتبليغ رسالة الإسلام للعالم، خلافاً للذين يعتبرون التجنس ردةً عن الإسلام. كما أشار إلى أهمية توطين الدعوة في تلك البلدان لتصير للمواطنين الأصليين وليس للمهاجرين وحدهم. وموالة المسلم للمؤمنين لا تمنعه من العيش مع الآخرين والقسط والبر معهم. ولكن لا مجال للتساهل في مسائل الاعتقاد لقاء تلك المشاركة. والأصل عيش المسلم كمواطن في تلك البلدان، ولكن من غير ذوبان أو فقدان للهوية. ونوّه إلى ضرورة فهم السياقات والأسباب التي جاءت فيها بعض الأحاديث النبوية التي تمنع المسلم من مخالطة المشركين والإقامة معهم، لخطورة تعميمها في غير المقصود منها بشكل يؤدي إلى انغلاق المسلمين على أنفسهم ومنع تعرّف العالم على رسالة الإسلام. وأشار إلى آياتٍ في كتاب الله تعالى أسيء فهمها بخصوص العلاقة مع غير المسلمين، حتى تم حملها للتأصيل للقطيعة التامة معهم. والأصل حصرها في الحربيين وليس في عموم المشركين ولا في المسالمين منهم. من ذلك: "لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء" "لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" في سورة الممتحنة. وإلا كيف سمح لنا بمصاهرهم مع ما في ذلك من مودة متحققة؟ وماذا مع الآية: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم" في الممتحنة؟ وكذا آية: "ليسوا سواء" في آل عمران 113. وإذا

أراد البعض الاحتجاج بآية: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم" من البقرة 120، فليس هدفنا رضاهم إنما رضى الله تعالى⁵⁶.
وقد اتفق مع القرضاوي في هذا الرأي أغلب من تناولوا القضية بالبحث والتأليف والإفتاء.

فهذا عبد الله بن بيه،⁵⁷ يُجيز الإقامة في دار الكفر، خلافاً لفتاوى سابقة تبعت حديث "أنا بريء من كل مسلمٍ يقيم بين أظهر المشركين" دون تعليقه وتأويله ومعرفة مناسبه. خاصة أن الجمهور أجاز الإقامة للقادر على إظهار دينه ولمن يتوفر له الأمن والحماية. ونقل ابن حجر في فتح الباري 7/ 230 عن الماوردي أن ذلك عندها أفضل من الإقامة في دار الإسلام لدعوة الناس للإسلام. والجنسية فرعٌ عن الإقامة تقع عليها الأحكام الخمسة حسب ظروفها وسببها وآثارها. بل إن مشاركة المسلم بالعمل السياسي في الغرب، ليس من الولاء للكفار، بل هي ضرورة مجتمعية وحق من حقوق المواطنة ولتحقيق مصالح الأقلية المسلمة ذاتها. وهذا فيصل مولوي المفتي اللبناني،⁵⁸ يقول بأن الهجرة لبلاد الغرب والإقامة فيها والتجنس بجنسيتها جائز شرعاً ويختلف حكمها التفصيلي بحسب الظروف. وذلك خلافاً لبعضهم ممن ينقل بأن الأصل حرمة التجنس بجنسية الدولة الكافرة.⁵⁹

⁵⁶ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة للقرضاوي، ج4، ص 16، دار القلم، دمشق 2009

⁵⁷ ابن بيه، عبد الله، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، دار المناهج بالسعودية 2007، المنظومة

مشاهدة 2023 / 2/ 20

⁵⁸ عن/ الخلاصة في فقه الأقليات Noor-book. com ت مشاهدة 2023/3/20

⁵⁹ عن الخلاصة في فقه الأقليات، Noor-book. com ت مشاهدة 2023/3/20

وهذا سلمان العودة،⁶⁰ يقول بجواز الإقامة وتحصيل الجنسية في الغرب لمن لديه مشاكله ويحصل على الأمن لديهم، ومن دخل في تلك البلدان فهو ملزم بقوانينهم من باب الالتزام بالعهد. بل وقال بجواز المشاركة في انتخاباتهم. وهذا إسماعيل الحسني،⁶¹ يستعرض قول الفقهاء السابقين في حكم إقامة المسلمين في بلاد غير إسلامية، مبيناً الأقوال التي كانت ترى عدم جواز إقامة المسلمين مع المشركين لأنه لا أمان للمسلمين فيها. وقد اقتبس عدداً من الشواهد على ذلك من إعلام الموقعين لابن القيم 165/3، ونيل الأوطار للشوكاني 177/8، والمقدمات لابن رشد 613/2. ثم أورد بعض الردود على ذلك الرأي، معتبراً وجود المسلمين خارج أرضهم يحقق عدة أغراض، ومقتبساً بأن دار الإسلام هي التي يأمن المسلمون فيها ولو كان أهلها كفاراً. وأشار إلى أن النظر للأقليات من منطلق دار الحرب بالتعريف التاريخي لا يناسب الواقع الحالي، وأن حياة المسلمين لا تقوم على التقوقع في منطقة جغرافية مهما اتسعت، وأن الاختلاط الإيجابي مع الوسط غير المسلم حتى لو تسبب ببعض الغش لا ضير فيه ما دام ذلك الغش ليس في العقيدة. وهذا خالد محمد عبد القادر،⁶² يقول بأن الهجرة حركة دعوة وجهاد، وليست عملاً انسحابياً من الحياة. وأورد قول الماوردي بأفضلية الإقامة بدار الكفر للقادر على نشر الإسلام ودعوة البشرية إليه كواجب على المسلمين. وقال بضرورة

⁶⁰ عن الخلاصة في فقه الأقليات، Noor-book. com ت مشاهدة 2023/3/20

⁶¹ الحسني، إسماعيل، قراءة في بنية فقه الأقليات، إسلامية المعرفة، مج8، ع30، ص 119،

2002

⁶² عبد القادر، خالد محمد، فقه الأقليات المسلمة، كتاب الأمة بقطر، Noor-book

.com ت مشاهدة 2023/3/20

مراجعة تقسيم دار الحرب ودار الإسلام ودلالاتها وتغيير التسميات. فالإسلام رسالة عالمية، وجغرافيته هي أرض الله الواسعة كلها.

وهذا عبد المجيد النجار،⁶³ يقول بأن الإسلام يدعو إلى بناء مجتمع إنساني، وأنه يجب التأصيل لفقه للأقليات بما ييسط القيم الخالدة والتعايش الحضاري وتهدف إلى نشر الدعوة في الغرب. والأقليات يمكنها تشكيل حلقة وصل بين حضارتين وعالمين، وأن تسعى لتطبيق قيمة التعارف الواردة في القرآن، ولبناء المشترك الإنساني.

وهذا طه جابر العلواني،⁶⁴ يقول بأنه لا يجوز النظر للأمر من منطلق التراث ولا من دار الحرب والإسلام. ولا يمكن مواجهة قضايا الأقليات إلا باجتهاد جديد ينطلق من كليات القرآن وغاياته وقيمه العليا ومقاصد الشريعة، وأن تكون الحاكمة العليا للقرآن الكريم تُفهم المصادر الأخرى في إطاره وليس العكس. فالفقه الموروث في مجال علاقة المسلمين بغيرهم قاصر عن الإجابة على قضايا الأقليات. ولم تكن المواطنة بصورتها المعاصرة معروفة لدى سائر السابقين. وكان منطق الغلبة وفقه الحرب وتقسيم العالم هو المسيطر. وكذا فقه المقاومة الذي يرفض حتى الجنسية والتعايش مع المجتمعات الأخرى. لذلك فنحن نحتاج اليوم إلى أصول لفقه الأقليات، كما لكل علم أصوله. وأن القاعدة الذهبية لعلاقة المسلمين بغيرهم تتمثل

⁶³ النجار، عبد المجيد، نحو تأصيل فقهي للأقليات المسلمة Noor-book.com مشاهدة 2023/3/20

⁶⁴ العلواني، طه جابر، مدخل إلى فقه الأقليات، إسلامية المعرفة، مج 5 ع 19، ص9، 1999، المنظومة 103302

في آيتي "أن تبروهم وتقسطوا إليهم" من سورة الممتحنة. وكذا آية "كنتم خير أمة أخرجت للناس" في سورة آل عمران، وذلك لإخراج الناس من الظلمات إلى النور. وفي الرد على الآراء المضيقية التي تحرم مجرد الإقامة خارج دار المسلمين، يقتبس نصاً من فتح الباري لابن حجر (7/ 230) عن الماوردي يقول فيه: "بأن إقامة المسلم في دار الكفر لمن يستطيع إظهار دينه فيها أولى من إقامته في دار الإسلام، لما في ذلك من القيام بوظيفة جذب الناس لهذا الدين وتحسينه إليهم ولو بمجرد الاحتكاك والمعايشة، وإذا قدر على إظهار الدين في بلاد الكفر فقد صارت البلد بذلك دار إسلام، وأن الإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يُترجى من دخول غيره في الإسلام".

5: 2. فتاوى القرضاوي للأقليات المسلمة في شؤونهم التعبدية والشعائرية

دعا القرضاوي إلى الحرص على وحدة الأقلية المسلمة في كل بلد، ومن ذلك وحدتهم في صومهم وفطرم وحتى أضحاهم، بدل اتباع الخلافات في العالم الإسلامي. والحل أن يتفقوا معاً على الصوم والفطر والعيد معاً بدل إلزام أنفسهم بهذه الدولة أو تلك. فالأصل تجنيب الأقليات كل أنواع الخلافات التي تدمي القلب وتخرجهم أمام الآخرين وتحول دون التفاهم لقضاياهم. وإذا تعذر توحيد المسلمين في العالم على ذلك، فلا أقل من توحيد كل قطر وبلد بدل تشتتهم ما بين هذا الرأي وذاك أو هذا البلد وذاك.⁶⁵

وبخصوص الصلاة، قال بجواز صلاة الجمعة قبل الزوال للحاجة في بعض ظروف الأقليات المسلمة، وجواز جمع العشاء مع المغرب في بعض البلدان التي لا يغيب فيها

⁶⁵ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج4، ص457، دار القلم، دمشق 2009

الشفق حتى الفجر لرفع المشقة ولحديث اقدروا له ولجمع النبي في المدينة من غير سفر ولا مطر كي لا يخرج أمته.⁶⁶ وكذا جواز الصلاة في كنيسة للحاجة ولعدم وجود مكان للصلاة.⁶⁷

أما وضعُ الفواصل الخشبية والقماشية بين الرجال والنساء في المسجد فليس فرضاً ولا سنةً، إنما هي بدعة استند أصحابها إلى سد الذرائع، والتوسع في سد الذرائع يحرم المسلمين من خيرٍ كبير، ويُسهل على الآخرين اتهامهم بالتخلف والانتقاص من قدر المرأة.⁶⁸ بيد أنه قال بعدم جواز إمامة المرأة للجمعة والجماعة باتفاق المذاهب الثمانية وإجماع المسلمين عبر القرون باستثناء إمامتها لأهل بيتها إن لم يكن فيهم حافظٌ لشيءٍ من القرآن.⁶⁹

وبخصوص الزكاة، قال بجواز بناء المراكز الإسلامية من أموال الزكاة توسعاً بمعنى الآية ولأغراض المراكز الدعوية.⁷⁰ وأن بعض العلماء أجازوا إعطاء غير المسلمين من الزكاة، وبالتالي يمكن أن يتسع خير المسلمين ليشمل غير المسلمين من زكاتهم في الغرب مما يحسن صورتهم في تلك المجتمعات.⁷¹ وتجويز بعضهم إعطاء فقراء غير

⁶⁶ القرضاوي، يوسف، في فقه الأقليات المسلمة، دار الشروق، القاهرة 2001

⁶⁷ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج1، ص231، المكتب الإسلامي، بيروت 2000

⁶⁸ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج4، ص365، دار القلم، دمشق 2009

⁶⁹ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج4، ص574، دار القلم، دمشق 2009، وذلك

في تعليقٍ على الدكتورة أمينة ودود التي أمت الجمعة في نيويورك بتاريخ 18/3/2005

⁷⁰ القرضاوي، يوسف، في فقه الأقليات المسلمة، دار الشروق، القاهرة 2001

⁷¹ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة للقرضاوي، ج3، ص685، المكتب الإسلامي،

المسلمين من الزكاة ومن الأضاحي يأتي من باب سهم تأليف القلوب للدين.⁷²
وفي المقابل لا مانع من استفادة مراكز المسلمين من أموال المساعدات والمخصصات المتاحة للمراكز في مجتمعاتهم.⁷³ ويجوز نقل الزكاة وصدقة الفطر لبلد آخر لوجود فقراء ومحتاجين.⁷⁴ ويجوز إخراج الزكاة وزكاة الفطر نقداً.⁷⁵

5: 3. فتاوى القرضاوي للأقليات المسلمة في أحوالهم الشخصية والأسرية

والمعاملات المالية

أكد القرضاوي على خطورة ذوبان الأولاد في الغرب إلى حد اعتبارها جريمة لا يمكن قبولها، ولكن من غير دعوة للانغلاق التام.⁷⁶ كما أشار إلى مكانة المرأة السامية في الإسلام، محذراً من خطورة التشدد الذي تسرب للمسلمين والدعاة بخصوصها.⁷⁷ وقال بأن اختلاط المرأة في الغرب مع الرجال لا مانع منه بضوابطه. فالاختلاط ليس هو المحرم، إنما الخلوة هي المحرمة. والمرأة المنقبة لا مانع من كشف وجهها إن واجهت بعض المشاكل بسبب النقاب. ويكفي الحمار العادي للمسلمة في الغرب، فأنا لا أفضل النقاب عندهم.⁷⁸ واختار جواز بقاء المرأة التي دخلت

⁷² القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج4، ص379، دار القلم، دمشق 2009

⁷³ القرضاوي، يوسف، برنامج الشريعة والحياة، الجزيرة، 1997

⁷⁴ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج1 ص290، ج2 ص267، المكتب الإسلامي،

بيروت 2000

⁷⁵ فتاوى معاصرة للقرضاوي، ج2، ص261، المكتب الإسلامي، بيروت 2000

⁷⁶ القرضاوي، يوسف، برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة، 1997، ت مشاهدة 20 / 2 /

2023

⁷⁷ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج3، ص283، المكتب الإسلامي، بيروت 2003

⁷⁸ القرضاوي، يوسف، الشريعة والحياة، الجزيرة، 1997، ت مشاهدة 20 / 2 / 2023

الإسلام دون زوجها على ذمته حسب قول بعض الصحابة وطمعاً في إسلام زوجها ولرفع الحرج عن المرأة.⁷⁹

وقال بجواز أخذ مَنْ اعتنق الإسلام دون أهله ميراثاً منهم، لقول بعض السلف بذلك، ولحمل المنع على الحربيين، ولمصلحته وتشجيعه على الإسلام بدل وضع عقبة الحرمان والفقر في طريق إسلامه.⁸⁰ وقال بجواز شهادة غير المسلمين في عقد الزواج وسائر العقود عند الضرورة.⁸¹

وجوّز تهنئة غير المسلمين المسلمين لنا بأعيادهم خاصة لمن يعيش في وسطهم لآتي الممتحنة "لا ينهاكم الله"، باعتبار ذلك من البر والقسط والإحسان والعدل والفضل والمعاملة بالمثل ورد التحية يمثلها خاصة لمن يهتئون المسلمين بأعيادهم. وقد شرع الإسلام الزواج من الكتابية مع ما ينشأ عن ذلك من مودة ورحمة ومصاهرة فكيف بالتهنئة التي هي أهون. وذلك في حق الفرد أو المركز الإسلامي، وبما لا يحمل شعارات دينية تُقرهم على المعتقدات المخالفة لديننا. ومثل ذلك بل وأخفُّ التهنئة بالمناسبات الوطنية والإنسانية.⁸²

⁷⁹ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج3، ص640، المكتب الإسلامي، بيروت 2003

⁸⁰ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج3، المكتب الإسلامي، بيروت 2003

⁸¹ القرضاوي، يوسف، الشريعة والحياة، الجزيرة، 1997، ت مشاهدة 20 / 2 / 2023

⁸² القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج3، ص 686، المكتب الإسلامي، بيروت 2003

وأجاز للمسلمين في الأقليات المسلمة شراء بيت السكن بالفائدة البنكية للحاجة، والحاجة تتزل متزلة الضرورة، إذ لا يوجد في الغالب حل آخر لتملك بيت للعائلة عندهم، واستثناساً بقول للمذهب الحنفي.⁸³

وقال بجواز تبرع المسلم بأعضائه لغير المسلم كجزء من البر بهم والمعاملة الحسنى والمعاملة بالمثل.⁸⁴

5: 4. فتاوى القرضاوي للأقليات المسلمة بمشاركتهم في الحياة العامة والسياسية

أفتى الشيخ القرضاوي للأقليات المسلمة بجواز المشاركة في الحياة السياسية ترشحاً وانتخاباً وتشكيل أحزاب خاصة بهم أو الانخراط في الأحزاب القائمة لتحقيق مصالحهم التي يُقدرونها. وفي رده على بعض المخالفين له بالرأي، قال بأن الأصل ألا يكون تحريمٌ إلا بنص صريح. ولا يجوز تحريم شيء لمجرد أن المسلمين لم يفعلوه من قبل. فإذا اخترع الناس الانتخابات فلماذا نسارع لتحريمها لمجرد أن السابقين لم يعملوا بها؟ ما دام المقصد مشروعاً فوسيلته مشروعة. الانتخابات من أعظم اختراعات الحضارة الغربية والمهم ضمان نزاهتها. والتصويت لبعض المرشحين لمصلحة للمسلمين لا مانع منه. وذلك ضمن فقه الموازنات الذي تقوم عليه السياسة الشرعية. ويجوز للمسلمين في الأقليات الدخول في الأحزاب الموجودة والترشح للبرلمانات لتحقيق مصالح المسلمين. فالمسلم جزء من مجتمعه ولا بد من

⁸³ القرضاوي، يوسف، برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة، 1997، ت مشاهدة 20/2/2023. وفتاوى معاصرة، ج4، ص711، دار القلم، دمشق 2009. وفي فقه الأقليات المسلمة، دار الشروق، القاهرة 2001

⁸⁴ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج3، ص683، المكتب الإسلامي، بيروت 2003. القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، ج2، ص548، المكتب الإسلامي، بيروت 2000

المشاركة في قضاياها بما في ذلك السياسة والأحزاب، ولكن مع التفضيل بينها حسب قربها أو معارضتها للقيم والفضيلة أو التعصب والعنصرية أو الانحلال، وفق فقه الموازنات والترجيح بين المصالح والمفاسد، لاختيار أفضل الخيرين أو أقل الشرين. ويفضل أن يكون ذلك بعمل جماعي للجالية لضمان الصواب والقدرة على التأثير في نتائج الانتخابات.⁸⁵

ومن حق المسلمين وجود ممثلين لهم يعبرون عن مصالحهم في المجالس المتعددة مستقلين أو ضمن أحزاب قائمة. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب والأمور بمقاصدها. أما عزلتهم فتؤدي إلى تهميشهم وضياح حقوقهم. فتكون مشاركتهم من باب سد الذريعة على انتقاص حقوقهم والمساس بهويتهم وشعائرهم. حتى لو تسبب ذلك بالتزامهم ببعض الأمور كالقسم على التزام القانون فذلك من باب الوفاء بالعهد ومن باب الضرورات تبيح المحظورات والمصالح المرسلة. فيجوز تأسيس حزب خاص بهم. كما يجوز انتسابهم لأحزاب قائمة مع اختيار أكثرها مصلحة أو أقلها مفسدة. ونحن لا نأخذ برأي المغالين الذين يُحرمون حتى الحصول على الجنسية ومجرد الإقامة في الغرب. فهؤلاء يحرمون الأحزاب حتى في بلدانهم فكيف بالغرب!⁸⁶

⁸⁵ القرضاوي، يوسف، برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة، 1997، ت مشاهدة 20/2/2023.

⁸⁶ القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة للقرضاوي، ج4، ص843، دار القلم، دمشق 2009

كما أجاز اشتراك المسلمين عندهم في الشرطة ومؤسسات الدولة والمجتمع، وحتى في الجيش، مع عدم الاشتراك في الحروب ضد المسلمين ضمن قاعدة الضمير التي تبيح للمرء الاعتذار عن الاشتراك في حربٍ يراها لا تناسبه.⁸⁷

ونوه إلى ضرورة التزام المسلمين بقوانين البلد الذي هم فيه، التزاماً بالعهد.⁸⁸ كما نوه إلى ضرورة اهتمام المسلمين في الأقليات بقضاياهم قبل قضايا بلدانهم التي خرجوا منها. ولكن دون تجاهل بلدانهم وقضاياها المهمة كقضية فلسطين التي هم كل مسلم في الأرض.⁸⁹

6. ملامح التجديد في اجتهادات القضاة للأقليات

لقد بات واضحاً من خلال الفقرات السابقة، ومن دون مبالغة ولا تكلف، أن التجديد من العلامات البارزة في اجتهادات القضاة للأقليات المسلمة بل وفي اجتهاداته المعاصرة بشكل عام في سائر المجالات التي تناولها وأفتى لها. وإذا كان هذا الأمر قد بات جلياً من خلال الأمثلة الكثيرة لاجتهاداته التي سقناها في الفقرات السابقة، فإن المرجع الحقيقي لذلك إنما يتمثل في الأصول الاجتهادية التي ارتكز عليها القضاة لتلك الاجتهادات. بل إن الأمر في القواعد والأصول أكثر أهمية من الأمثلة التطبيقية على اجتهاده في هذا الجانب من قضايا الأقليات أو ذاك.

⁸⁷ القضاة، يوسف، برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة، 1997، ت مشاهدة 20 / 2 / 2023.

⁸⁸ القضاة، يوسف، فتاوى معاصرة، ج3، ص662، المكتب الإسلامي، بيروت 2003
⁸⁹ القضاة، يوسف، برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة، 1997، ت مشاهدة 20 / 2 / 2023.

أي أن السر في منهج الاجتهاد الذي خطّه الشيخ القرضاوي لنفسه وأعلن عنه بكل وضوح في مؤلفاته. وهو ما أوردنا تفصيله في واحدة من فقرات هذا البحث.

وإني أدعو لإعادة الاطلاع على تلك الأصول التي رسمت منهج الشيخ القرضاوي في الاجتهاد. وذلك حتى يتبين للقارئ حرصُ الشيخ على التجديد في كل ما يفتي به ويؤصل له. بل لقد بلغ به الأمر أن يدعو للتجديد في علم الأصول ذاته، وبلغ به الأمر أن يخرج من دائرة احتكار المذاهب الرئيسة للفتوى والتوسع فيه ليشمل كل المجتهدين من داخل تلك المذاهب ومن خارجها. بل لقد قرّر الصعود خطوة حاسمة للأعلى بإعادة الاهتمام بأقوال الصحابة الكرام وتقديمها على من جاء بعدهم من أصحاب المذاهب. وإذا كان الشيخ لا يوافق بعضهم على منع التقليد بالكامل، فإنه لا يرى نفسه مقلداً أبداً، إنما يجعل لنفسه ولكل مجتهدٍ يمتلك أداة الاجتهاد الحق في الاختيار والترجيح من التراث الفقهي، بل وحق الاجتهاد الإنشائي للنوازل بدل الجمود على القديم الذي تغيّر ظرفه. كما دعا إلى فهم النصوص في إطار مقاصد الشريعة بدل التمسك بالظواهر التي تحجز النص في إطار ضيق. وأكد على المرجعية العليا للقرآن الكريم ليتم فهم كل الأدلة والشواهد الأخرى في إطار آيات الكتاب وعموماته وكلياته. بل إنه يدعو ليس إلى التيقن من دعوى بعض الإجماعات فحسب، بل إلى فحص الإجماعات الثابتة وهل كانت بناءً على كليات الشريعة أو بناءً على ظرفٍ ومصلحةٍ ربما انتهت وتغيّرت. وهو يدعو إلى تفعيل قاعدة تغير الاجتهاد والفتوى بتغير الزمان والمكان لتغير العرف والظرف. وإذا كان السادة الأحناف قد عدلوا عن بعض اجتهادات إمامهم لاختلاف الزمان والظرف، وكذا الشافعيُّ قد غيّر في اجتهاده لتغير الظرف والمكان حتى صار فقههُ الجديد هو

المعتمد، فما أحوجنا اليوم لفقهِ جديدٍ مع تطاول العصور وتغيّر الظروف وكثرة النوازل والمستجدات التي لا سابق لها.

وهكذا، لو تتبعنا الأصول التي أفردنا الحديث عنها لاجتهاد القرضاوي، فسنجد الكثير مما يصبُّ في دعوى التجديد لديه في الاجتهاد وفي أصول الاجتهاد ومنهج الاجتهاد. وهو ما ينعكس إيجاباً على آرائه وفتاويه للأقليات المسلمة وسواهم.

وكذا صفة الترشيد تبدو سمةً أساسيةً لاجتهادات الشيخ القرضاوي، بل ولمنهجته وأصوله التي بنى عليها اجتهاداته. وتكفي نظرة واحدةً لاجتهادات التي أوردناها، بل وللأصول التي ذكرناها عنه، لتلمّس هذه السمة في فقه هذا الرجل العَلم. بل ويكفي التذكير بكتابه حول "الصحة من المراهقة إلى الرشد" لندرك من عنوان الكتاب وحتى دون الدخول في التفاصيل إلى ما يريده الشيخ. فقد كان ترشيدهُ الصحة في كل مجالاتها العلمية والتربوية وحتى السياسية ديدنه الذي لا ينفكُّ عنه. وإذا تتبعنا الاجتهادات التي حشدناها في هذا البحث، فسنذكر حجم الحرص لديه على ترشيده الاجتهاد بخصوص الأقليات المسلمة.

فلا هو مع الذين تمسكوا بتحريم الإقامة والتجنّس بجنسية الدول غير المسلمة لظواهر بعض النصوص، ولا هو مع الذين جعلوا الباب مفتوحاً حتى لو خسرت العائلة دين أولادها وانتماءهم. بل ذهب للخروج من ذلك باعتبار وجود المسلمين في الغرب جسراً لنشر الإسلام والدفاع عن قضايا المسلمين والتعارف بين الحضارات. وإذا جئنا إلى موضوع المرأة في الأقليات، وجدناه يقول بحقها في الخروج والمشاركة في الحياة العامة والاختلاط حتى مع غير المسلمين، وحتى بعدم لبس النقاب إذا كان يتسبب لها ببعض المشاكل، في حين يرفض القفز على الدين وإجماعاته المُسلمة كما في إمامة المرأة لصلوات الجماعة التي أفتى ضدها. وفي

موضوع انخراط الأقلية المسلمة في الحياة الحزبية والسياسية، لم يقبل الحظر المطلق الذي ذهب إليه بعض المغالين، فهؤلاء يرفضون الحريات والأحزاب حتى في بلدان المسلمين فهل سيحيزون ذلك مع الحكومات والأحزاب غير الإسلامية؟ وفي موضوع وقت الجمعة أجاز تقديمه عن وقت الزوال بحسب بعض الصحابة عند الضرورة خلافاً لمن يريد التمسك لها بوقت الظهر. وفي موضوع شراء مسكن المعيشة أجاز للأقليات المسلمة شراؤه عن طريق الفائدة البنكية للحاجة وعدم وجود بدائل عندهم وعملاً بقول بعض العلماء الذين أجازوا التعامل ببعض العقود الفاسدة خارج دار الإسلام، وذلك خلافاً لآخرين لم يروا اعتبار هذه الحاجة ولو أدى الأمر لإعنات المسلمين حول العالم. كما أجاز للمرأة التي دخلت الإسلام دون زوجها الكافر البقاء معه طمعاً في إسلامه ورفقاً بالمرأة التي لا تريد أن يكون دخولها في الدين الجديد سبباً في خراب بيتها، وعملاً بقول بعض الصحابة، خلافاً لعامة الذين لم يراعوا ذلك متمسكين بظواهر النصوص وفق تفسيرهم لها. وكذا بخصوص تجويزه لمن يعتنق الإسلام أن يرث من أهله غير المسلمين للمصلحة وعدم وضع عقبات أمام دخول الناس في الإسلام.

وهكذا تكثر الاجتهادات التي تدلُّ على سعي الشيخ لترشيد الاجتهاد المعاصر عامّةً وفي قضايا الأقليات خاصة، بدل التشنّج حول اجتهادات سائدة لا تراعي مقاصد الشريعة وغاياتها ولا تأخذ بالحسبان مراعاة المآلات والآثار ولم تعمل بفقهِ الموازنات ولم تلتفت لعالمية الإسلام ورسالته.

ولا شك أن هذا المنهج في الاجتهاد لدى الشيخ القرضاوي قد شكّل فتوحات تُعبّر عن رحابة شريعة الإسلام وفتح أبواباً كان الكثيرون يحسبونها لا تُفتح. وهو ما

جعل الكثير من العلماء المعاصرين يتبعون منهجه ويحذون حذوه، كما يتضح في فقرة الدراسات السابقة لهذا البحث.

7. الخاتمة

استعرض هذا البحث اجتهادات العلامة القرضاوي المتعلقة بالأقليات المسلمة، بهدف رصد ملامح ومرتكرات تلك الاجتهادات، وفحص تحليلها بصفة التجديد على وجه الخصوص. يأتي ذلك في ظل كثرة المستجدات والنوازل لدى الأقليات المسلمة، والتي لم يعد التراث الفقهي قادراً على الإجابة عليها لاختلاف الظروف والمعطيات التي تتطلب اجتهاداً معاصراً يجب عليها عملاً بقاعدة اختلاف الفتوى باختلاف الزمان والمكان والعوائد، وانطلاقاً من صلاحية هذه الشريعة لكل زمان ومكان. وهو ما يؤكد الحاجة لفقهِ جديد يعالج تلك المستجدات ويجب على أسئلتها. والقضية الجوهرية التي عاجلها هذا البحث وسعى للإجابة عليها، إنما تمثلت في البحث عن الملامح والمرتكرات وجوانب التجديد والترشيد في اجتهادات القرضاوي لقضايا الأقليات المسلمة، وهي الفرضية التي أثبتت هذه الدراسة صحتها.

وقد عقد البحث جولةً استطلاعيةً في الدراسات المنشورة حول فقه الأقليات للعلماء والكتاب المعاصرين، بالإضافة إلى ما كتبه الشيخ القرضاوي في هذا الموضوع، ليتبين أن أغلب أقوال العلماء المعاصرين تحاكي اجتهادات القرضاوي وتتطابق معها أو هي متأثرة بها.

وقدّم البحث نبذة تاريخية عن قضايا الأقليات واهتمام القرضاوي بها، حيث تبين أنه كان الحاضر الدائم والمشارك الفعال فيها، إن عبر المشاركة في المؤتمرات والملتقيات العلمية، أو عبر رئاسة وعضوية العديد من المؤسسات والمراكز العلمية

المهتمة بشؤون الأقليات، وإن عبرَ العديد من الدراسات والفتاوى والاجتهادات الفردية والجماعية التي صدرها لهم.

وقد أثبت البحثُ الحاجة إلى فقه جديدٍ متخصص بالأقليات المسلمة، بالرغم من التقائه مع أصول الفقه ومركزاته العامة، وذلك لخصوصيته التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار، وبسبب اختلاف الزمان والمكان والعوائد عن سائر المسلمين المقيمين في بلادهم الأصلية اليوم وعن المسلمين السابقين الذين أفتى لهم العلماء وملأت اجتهاداتهم كتب التراث الفقهي. والفقه الخاص الذي يطالب به القرضاوي، هو الذي يراعي واقع الأقليات وخصوصياتهم، ولكن في إطار الفقه العام ومرجعياته.

كما تتبّع البحث الأصول التي قامت عليها اجتهادات القرضاوي لتحديد الاجتهاد بشكلٍ عام، وتلك التي قامت عليها اجتهادات القرضاوي لفقه الأقليات خاصةً، مبيناً خصائص الفقه المنشود للأقليات، والتي تتمثل في: التوفيق بين التراث والواقع، والربط بين عالمية الإسلام وواقع مجتمعاتهم الخاصة، والجمع بين فروع الشريعة ومقاصدها وكلياتها، ومراعاة اختلاف الفتوى باختلاف الزمان والمكان والعوائد، واتباع فقه الموازنة وفقه الأولويات في النظر للمصالح والمفاسد، والتوفيق بين الحفاظ على هويتهم الإسلامية واندماجهم في شؤون مجتمعاتهم من غير عزلةٍ ولا ذوبان.

وأما مصادر هذا الفقه، فهي ذات المصادر التي بيّنها العلماء سابقاً، مع وضع توضيحات تنظم الاجتهاد المعاصر وتُطوره ليكون قادراً على ملاحقة النوازل والمستجدات. ومن ذلك مراعاة المقاصد العامة والقواعد الكلية ذات الصلة، والعناية بفقه الواقع إلى جانب النصوص، والاستعانة بأهل الخبرة، والتركيز على فقه الجماعة، وتبني منهج التيسير، ومراعاة قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان

والعوائد، ومراعاة سنة التدرج، والاعتراف بالضرورات والحاجيات، والتحرر من التقليد.

كما عرض البحث نماذج من اجتهادات القضاوي للأقليات المسلمة في شتى المجالات والأبواب، بدءاً بجواز إقامة المسلمين خارج بلاد الإسلام وإباحة تجنسهم بغير جنسية الدول المسلمة، ومروراً بفتاويه في شؤوهم التعبدية والشعائرية وفي أحوالهم الشخصية والأسرية والمعاملات المالية، وصولاً لمشاركتهم في الحياة العامة والسياسية. وقد دعا القضاوي إلى الحرص على وحدة الأقليات المسلمة في كل بلد، ومن ذلك وحدتهم في صومهم وفطرم وحتى في أضحايم، بدل اتباع الخلافات في العالم الإسلامي وهي التي تدمي القلب وتخرجهم وتحول دون التفاهم لقضاياهم.

وعند فحص ملامح التجديد والترشيد في اجتهادات القضاوي للأقليات المسلمة، تبين أن التجديد والترشيد، هما من العلامات البارزة في اجتهاداته للأقليات وسواهم. فقد كثرت الاجتهادات التي تدلُّ على سعي الشيخ لتجديد الاجتهاد وترشيده في عامة الأبواب والقضايا المعاصر وفي قضايا الأقليات خاصة، بدل التشج حول اجتهادات لا تراعي مقاصد الشريعة وغاياتها ولا تأخذ بالحسبان المآلات والآثار ولم تعمل بفقہ الموازنات ولم تلتفت لعالمية الإسلام وسماحته. وإذا كان هذا الأمر قد بات جلياً من خلال الأمثلة العديدة لاجتهاداته، فإن ذلك لا يقلُّ وضوحاً في الأصول التي ارتكز عليها. بل إن السر يكمن في منهج الاجتهاد الذي خطّه القضاوي لنفسه وأعلن عنه بكل وضوح في مؤلفاته.

وقد تميزت اجتهادات القضاوي بالحدة والجرأة والرصانة، والدعوة إلى الترشيح والاعتدال ونبد كل أشكال التطرف والتحلل، والسعي إلى الاستفادة من التراث

الفقهي بما يناسب عصرنا وقضاياه. وقد عمد الشيخ لوضع الأسس والمرتكزات لذلك الفقه بنفسه، ضمن سعيه لتجديد الاجتهاد وعصرنته وترشيده من المغالين والمتسيبين.

وفي الختام، فقد توصل البحث إلى تحلي اجتهادات القرضاوي في موضوع الأقليات بخاصية التجديد بشكلٍ جليٍّ، وهو ما يجب على سؤال الدراسة الجوهرية. وإنني أدعو الباحثين لمزيد اطلاع على الأصول الاجتهادية التي رسمت منهج الشيخ القرضاوي للاجتهاد المعاصر، وذلك لتحقيق أكبر نفعٍ بها، وحتى يتبين للقارئ حرصُ الشيخ على التجديد والترشيد في كل ما يفتي به. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

8. المراجع والمصادر

- آدم، منى، ضوابط فقه الأقليات، مجلة البحوث الإسلامية، ع8، 2016، المنظومة، 748995
- البشر، خالد، عن الخلاصة في فقه الأقليات، Noor-book. com ت مشاهدة 2023/3/20
- ابن بيه، عبد الله، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، دار المناهج بالسعودية 2007، دار المنظومة ت مشاهدة 2023 / 2/20.
- توبولياك، سليمان محمد، الأحكام السياسية للأقليات المسلمة، دار النفائس، عمان 1997
- الحسني، إسماعيل، قراءة في بنية فقه الأقليات، مجلة إسلامية المعرفة، ع30، 2002، دار المنظومة 104115.
- حلاوة، حسين، فقه الأقليات عند القرضاوي، ملتقى القرضاوي، الدوحة 2007، جوجل ت مشاهدة 2023/ 2/20
- حمداوي، جميل، فقه الأقليات، مجلة البحوث الإسلامية، ع2، 2015، دار المنظومة، 202910.

- الخلق، حُسن، التيسير في فقه الأقليات عند القرضاوي، الجامعة الإسلامية، بوروكيتو 2016.
- الزعيم، منتهى، معالم التيسير في فقه الأقليات المسلمة عند القرضاوي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بماليزيا، 2006.
- سلطان، صلاح الدين، الضوابط المنهجية لفقه الأقليات، Noor-book.com ت مشاهدة 2023/3/20
- السلمي، عياض، فقه الأقليات، مجلة البحوث الإسلامية، ع121، 2020، المنظومة 1078378
- شيبان، محمد، القواعد الأكثر التصاقاً بفقه الأقليات، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية 2009، دار المنظومة 561787.
- عبد القادر، خالد، من فقه الأقليات المسلمة، Noor-book.com ت مشاهدة 02023/3/20
- عريج، بندر، قواعد المصلحة وتعلقها بنوازل فقه الأقليات الإسلامية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، ع35، ج3، 2018، دار المنظومة 958998
- عطية، جمال الدين، نحو فقه جديد للأقليات، دار السلام، القاهرة 2003
- علواني، طه، مدخل إلى فقه الأقليات، إسلامية المعرفة، ع19، 1999، المنظومة 103302
- العمراني، محمد، فقه الأقليات، مجلة المجلس العلمي، س4، ع10، 2011، المنظومة 400250
- العودة، سلمان، عن/ الخلاصة في فقه الأقليات، Noor-book.com ت مشاهدة 2023/3/20
- القرضاوي، يوسف، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، دار القلم، الكويت 1996
- القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط6، 2003
- القرضاوي، يوسف، الصحة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، دار الشروق، القاهرة 2002
- القرضاوي، يوسف، أولويات الحركة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990
- القرضاوي، يوسف، برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة في حلقتين عام 1997
- القرضاوي، يوسف، تيسير الفقه للمسلم المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001

- القرضاوي، يوسف، شريعة الإسلام: خلودها وصلاحياتها للتطبيق، المكتب الإسلامي، 1393هـ

- القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة للقرضاوي، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت 2000
- القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة للقرضاوي، ج2، المكتب الإسلامي، بيروت 2000
- القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة للقرضاوي، ج3، المكتب الإسلامي، بيروت 2003
- القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة للقرضاوي، ج4، دار القلم، دمشق 2009
- القرضاوي، يوسف، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، بيروت 2007، الأولى صدرت 1969
- القرضاوي، يوسف، في فقه الأقليات المسلمة، دار الشروق، القاهرة 2001
- القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع التراث والتمذهب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 2004

- المعماري، أحمد، تحرير مصطلح فقه الأقليات، المدونة، ع15، 2018، المنظومة، 1006174

- النجار، عبد المجيد، نحو تأصيل فقهي للأقليات المسلمة، Noor-book .com ت مشاهدة 02023/3/20

References

- Adam, Abdallah, Dawabit Fiqh Al-Aqaliyat, Al-Buhuth Al-Islamia Journal, vol.2, 8, p9, 2016. Retrieved from Dar Al-Manthuma, 748995.
- Al-Bishr, Khalid, Al-Khulasa fi Fiqh Al-Aqaliyat, Noor-book.com. Retrieved on: 20/3/2023
- Ibn baih, Abdallah, Sinaeat Al-Fatwa wa Al-Aqaliyat, Dar Al-Manahij, Saudi Arabia, 2007, & Dirasat Al-Raabita Al-Muhamadia Center, 2012, & Dar Al-Manzuma. Retrieved on: 20/2/2023.
- Tubulyak, Muhamad, Al-Ahkam Al-Siyasia lil Aqaliyat Al-Muslima, Dar Al-Nafais, Amman, 1997.
- Al-Husni, Ismaili, Qira'a fi Bunyat Al-Aqaliyat, Islamiat Al-Marifa Journal, vol.8, 30, 2002. Retrieved from Dar Al-Manthuma, 104115.
- Halawa, Husayn, Fiqh Al-Aqaliyat enda Al-Qardawi, Multaqa Al-Qardawi, Doha, 2007. Retrieved on: 20/2 /2023.

- Hamdawi, Jamil, Fiqh Al-Aqaliyat, Al-Buhooth Al-Islamia Journal, vol.2, 2015. Retrieved from Dar Al-Manthuma, 202910.
- Alkhalq, Husun, Al-Tayseer fi Fiqh Al-Aqaliyat enda Al-Qardawi, Islamic University, Purwokerto, 2016.
- Al-Zaeem, Muntaha, Ma'alim Al-Tayseer fi Fiqh Al-Aqaliyat Al-Muslima enda Al-Qardawi, MA thesis, Islamic University, Malaysia, 2006.
- Sultan, Salahudeen, Al-Dawabit Al-Manhajia li Fiqh Al-Aqaliyat, Noor-book.com. Retrieved on: 20/3/2023.
- Asilmi, Ayad, Fiqh Al-Aqaliyat Al-Muslima, Al-Buhuth Al-Islamia Journal, vol.121, 22, 2020. Retrieved from Dar Al-Manthuma, 1078378.
- Shaiban, Abdallah, Al-Qawaid Al-Akthar iltisaqan bi Fiqh Al-Aqaliyat, PhD thesis, Omdurman Islamic University, 2009. Retrieved from Dar Al-Manthuma, 561787.
- Abdulqadir, Muhamad, Min Fiqh Al-Aqaliyat Al-Muslima, Al-Uma book series, Qatar, Noor-book.com. Retrieved on: 20/3/2023.
- Areej, Bandar Dhaeri, Qawaid Al-Maslaha wa Ta'aluqha bi Nawazil Fiqh Al-Aqaliyat Al-Islamia, Journal of Islamic Studies, Al-Azhar University, Cairo, vol.35, 3, p.1735, 2018. Retrieved from Dar Al-Manthuma, 958998.
- Atiya, Jamal aldeen, Nahwa Fiqh Jadeed lil Aqaliyat, Dar Al-Salam, Cairo, 2003.
- Alwani, Jabir, Madkhal ila Fiqh Al-Aqaliyat, Islamiyat Al-Marifa Journal, vol.5, 19, p.9, 1999. Retrieved from Dar Al-Manthuma, 103302.
- Alimrani, Muhamad, Fiqh Al-Aqaliyat, Al-Majlis Al-Ilmi, vol.4,10, p.162, 2011. Retrieved from Dar Al-Manthuma, 400250.
- Al-Awda, Salman, Al-Khulasa fi Fiqh Al-Aqaliyat, Noor-book.com. Retrieved on: 20/3/2023.
- Al-Qardawi, Yusif, Al-Ijtihad fi Al-Sharia' Al-Islamia, Dar Al-Qalam, Kuwait, 1996.
- Al-Qardawi, Yusif, Al-Khasais Al-Aama lil Islam, Wahba Bookshop, Cairo, 2003.
- Al-Qardawi, Yusif, Al-Sahwa Al-Islamia min Al-Murahaqa ila Al-Rushd, Dar Al-Shuruq, Cairo, 2002.

- Al-Qardawi, Yusif, Awlawiat Al-Harakat Al-Islamia, Ar-Resalah Publishers, Beirut, 1990.
- Al-Qardawi, Yusif, Al-Sharia' wa Al-Haya, Al-Jazeera Channel, 1997. Retrieved on: 20/2/2023.
- Al-Qardawi, Yusif, Tayseer Al-Fiqh lil Muslim Al-Mua'sir, Ar-Resalah Publishers, Beirut, 2001
- Al-Qardawi, Yusif, Shareat Al-Islam: Khuludoha wa Salahuha liltatbeeq fi Kuli Zaman wa Makan, Al-Maktaba Al-Islamiya, 1393.
- Al-Qardawi, Yusif, Fatawa Muasira lil Qardawi, part 1, Al-Maktaba Al-Islamiya, 2000.
- Al-Qardawi, Yusif, Fatawa Muasira lil Qardawi, part 2, Al-Maktaba Al-Islamiya, 2000.
- Al-Qardawi, Yusif, Fatawa Muasira lil Qardawi, part 3, Al-Maktaba Al-Islamiya, 2003.
- Al-Qardawi, Yusif, Fatawa Muasira lil Qardawi, part 4, Al-Maktaba Al-Islamiya, 2009.
- Al-Qardawi, Yusif, Fiqh Al-Zaka, Ar-Resalah Publishers, Beirut, 2007.
- Al-Qardawi, Yusif, Fi Fiqh Al-Aqaliyat Al-Muslima, Dar El-Shorouk, Cairo, 2001.
- Al-Qardawi, Yusif, Kayfa Nata'amal ma' Al-Turath wa Al-Tamathhub, Wahba Bookshop, Cairo, 2004.
- Al-Mimari, Ahmad, Tahreer Mustalah Fiqh Al-Aqaliyat, Al-Mudawana Journal, vol.4,15, p.7, 2018. Retrieved from Dar Al-Manthuma, 1006174.
- Al-Najar, Abdalmajid, Nahwa Ta'sil Fiqhi lil Aqaliyat Al-Muslima fi Al-Gharb, Noor-book.com. Retrieved on: 20/3/02023.